الباب السادس

اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة »

وأخيرا عدت الى موسكو ! لقد فكرت فيها كثيرا وأنا فى « كاراجندا » وفى « كوشنارينكوف » • تركت المدينة فى سبتمبر سنة ١٩٤١ م ضمن المبعدين عنها فى قطار عليه حراسة مسلحة •

والآن •• فى يوليو سنة ١٩٤٣ أعود اليها متخرجا من مدرسة جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية ، ومستعدا للعمل السياسى •

وقفت عربات عند المحطة منتظرة وصـــول مجموعتنا ، الى أين سنذهب ؟ لا ندرى • وعندما كنا نخترق شوارع موسكو ، قال لنا مرافقنا : « سنذهب الى فندق « لوكس » وسنقيم هناك مؤقتا ، وستعرفون كل شىء فى الأيام التالية من زعامة أحزابكم عما ستفعلونه » •

فى فندق « لوكس » •• ذلك الفندق المشهور فى شارع « جوركى » ، سابقا « تويرسكايا » ! مقر اقامة زعماء جبهة الأحزاب الشيوعية ومساعديهم منذ ٢٥ عاما ! كنت اذا ذهبت فى عام ١٩٤٠ أو ١٩٤١ لزيارة أحد فى فندق « لوكس »أمر باجراءات متعددة حتى أصل الى مضيفى • وكانت كل زيارة حدثا كبيرا بالنسبة لى آنذاك ـــ والآن ! أسكن هناك فى ذات الفندق •

* * *

موســكو : فندق « لوكس »

أخذت منا الوثائق فى ادارة الفندق ، كى يقوموا باجراءات التسجيل فى الشرطة ، قيل لنا ذلك بعدم اكتراث وكأن هذه الاجراءات أمرا سهلا ، على الرغم من أن كل واحد منا يعلم ، أن آلاف بل عشرات الآلاف من الألمـــانيين يكافحون شهورا عديدة للحصول على تصريح للعودة الى موسكو •

أعطى لكل واحد منا فى فندق « لوكس » بطاقة شخصية وعليها صورة شمسية يسمونها « جواز مرور » ، يبرزها الشخص دائما عند دخوله الفندق •

كان هذا الفندق عالمـا وحده ، فقد كان مجهزا بكل شيء ، بحيث لا يحتاج نزلاؤه الى الاحتكاك بأى مؤسسة أخرى ، فبجانب المطعم « الخاص » (الذى لا يدخله الا نزلاء الفندق فقط) كان هناك مغسل « خاص » ومحل لخياطة الملابس ، وجزمجى ، وعيادة « اسعافات » — كل ذلك كان لنزلاء فندق « لوكس » فقط • وكنا مرتبطين أيضا بالمحلات الفخمة القريبة • كانت « أتوبيسات » الفندق الخاصة تنقل العاملين فى جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية — بعد حل تمثيل الأحزاب الشيوعية الأجنبية — معا الى أماكن العمل ، وتعيدهم الى الفندق ، فلم يستعملوا المواصلات العامة الا نادرا • كذلك كان فى الفندق فرع خاص للميليشيا والجيش ينظم كل ما يتعلق بتسجيل القادمين ، ورفع أسماء المغادرين ، وعند الاستدعاء للخدمة العسكرية فى الجيش يتخذ هـذا الفرع كل الخطوات اللازمة — ولا يحتاج المطلوب للخدمة الى أن يشغل نفسه بذلك — حتى يعفيه من هذا الاستدعاء •

عندما جئت الى فندق « لوكس » فى يوليو سنة ١٩٤٣ م كان معظم الزعماء قد عادوا من الأماكن التى هاجروا اليهـا عند زحف القوات الألمـانية صوب موسكو • فرأيت « فيلهيلم بيك » و « فالتر أولبريخت » و « أنتون آكارمـان » ورئيسـة الحزب الرومانى فى ذلك الوقت « أنا باوكر » و « يعقوب بيرمان » الذى كان مدرسا فى مدرسة الجبهة ، وهو من زعماء القمة البولنديين ، و « ارنو جيروا » عضو المكتب السياسى المجرى ، و « كوبلينيج » و « فورنبرج » و « أرنست فيشر » و « سكر شيلينج » و « فرانس هونر » من الزعماء النمساويين •

تأكدت عند الفطور والغذاء فى المطعم « الخاص » أن زعماء البلاد المختلفة كانوا يجلسون منفصلين ، كل بلد على حدة ، ومن جلس من الزعماء على المنضدة مع البولنديين أو الرومانيين أو الايطاليين ، نظروا اليه بدهشة ، حتى الألمـانيون والنمساويون كانوا يجلسون فى غالب الأحيان منفصلين ، كل مجموعة على حدة • ويبدو أنهم التزموا هذا المبدأ ، ورأوا أنه صحيح وطبيعى • لم يكسر هذه القاعدة سوى الشبان الذين لم ينشأوا داخل الجهاز •

كان يقيم فى الفندق أيضا فى هذا الوقت — بجانب المنتمين الى الجهاز القديم لجبهة الأحزاب الشيوعية العالمية — مجموعة كبيرة من القياديين الشبان ، وكان معظمهم أبناء وبنات زعماء فى الحزب أو

لاجئين سياسيين نشأوا — مثلى — فى الاتحاد السوفييتى ، وسيوجهون فيما بعد الى العمل السياسى •

وكان فى الفندق أيضا بعض الشبان الأسبانيين ، جاءوا الى الاتحاد السوفييتى أثناء الحرب الأهلية الاسبانية ، وتربوا فى دار الحضانة الأسبانية ، ودرسوا فيما بعد فى مدرسة الجبهة ، أو فى مدرسة سياسية أخرى ، قابلت أيضا بعض الشبان الألمانيين ، ومن بينهم « بيتر فلورين » ابن « فيلهيلم فلورين » زعيم الحزب الشيوعى الذى توفى فى عام ١٩٤٤ م ، وفتاتين كنديتين ، وأخيرا كثيرا من القياديين الشبان من بلاد مختلفة ، ومعظمهم نشأوا فى بيت الشباب العالمى •

كان معظم نزلاء الفندق يعملون فيما يسمى : المعهد رقم ٢٠٥ ، وهو نوع من التنظيم الذى خلف جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية ويحتل مبنى حديثا ضخما فى (Rostokino) بالقرب من المعرض الزراعى ، وهو نفس المبنى الذى كان مقرا للجبهة من عام ١٩٤٠ م حتى عام ١٩٤١ م غير أنه أدخلت عليه تغيرات بعد حل الجبهة ، ولم يعد هناك سوى اعداد البرامج الاذاعية المختلفة للاذاعات السرية — التى كان يوجد عدد كبير منها آنذاك — اذاعة الشعب الألمانية ، واذاعة النمسا الحرة ، وبرنامج أسبانى ضد « فرانكو » واذاعات موجهة للبلاد التى تحتلها القوات الألمانية •

كان بعض نزلاء فندق « لوكس » من غير العاملين فى المعهد رقم ٢٠٥ ، بل كانوا محررين ومؤلفين ، ومذيعين ، ومراقبى استماع فى اذاعة موسكو ، أو محاضرين ومرشدين فى معسكرات أسرى الحرب ، وعلى الأخص فى المدارس المناهضة للفاشية •

لقد أخلى فندق « لوكس » تماما فى نهاية عام ١٩٤١ م بسبب هجرة المؤسسات من موسكو ، واليوم عاد فامتلأ بالنزلاء مرة أخرى • كانت المبانى الملحقة خالية ، لأنها كانت محجوزة للقياديين الأجانب ، ولم تكن مؤثثة بأثاث فاخر ، بل أعدت اعدادا بسيطا لينزل فيها المساعدون الذين ليسوا على « درجة كبيرة من الأهمية » • ولم تكن حجراتها انفرادية ، بل كان ثلاثة أو أربعة أو خمسة فى الحجرة الواحدة •

نزلت فى احدى حجرات المبانى الجانبية ، وعلى الرغم من حل جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية ، فقد كانت حجرتنا « عالمية » فقد أقمت فى حجرة مع تركى وأسبانى وألمانى وبرتغالى ، وكان هذا

البرتغالى غاية فى النشاط والحيوية ، وكان البرتغالى الوحيد الذى يعيش فى الاتحاد السوفييتى ، ويعمل فى القسم البرتغالى فى اذاعة موسكو •

وبينما كان زملائى فى الحجرة مشغولين جدا فى عملهم ، كنت أنا بدون عمل ، اذ لم أكن قد وجهت لعمل بعد • يبدو أن المسئولين فى الحزب الألمانى ينتظرون حتى يصل الى موسكو كل أعضاء مجموعتنا فى مدرسة الجبهة •

قابلت فى فندق « لوكس » « هانز مالى » مرة أخرى ، وكان كعادته فرحا ، ذا مزاج معتدل • فحيانى بحرارة :

ـ « آه ! عدت الى موسكو ، وانتهى زمن « كاراجندا » أليس كذلك » ؟

ـ « نعم ! لقد وصلت الى هنا منذ أسبوع تقريبا ، وسأوجه الى العمل ، هل تعرف شيئا عن هذا العمل » ؟

ـ « لا تؤاخذنى يا سيدى ! انه لغريب على أن أخاطب بضمير « أنت » فلا يجوز لسيادتكم أن تنسوا أننا فى اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » لم نتعود على سماع مثل هذه النغمة » •

تكلم بجدية ، متقمصا الشخصية الرسمية لدرجة أننى فزعت فتلعثمت فى الاعتذار له :

ـ « أنا أضحك معك فقط ، اذا تقابلنا هنا ، فنستطيع أن نظل على وضعنا القديم فى التصرف معا • هل تريد أن ترى أصول النسخة الأولى » ؟

طبعا ! أردت ذلك ، فقد كنت مهتما آنذاك بالأحداث السياسية وعلى رأسها أحداث اللجنة الوطنية • أعطانى العدد الأول من جريدة « ألمانيا الحرة » نظرت اليه مندهشا ، لأنى رأيت فى أعلى الصفحة الأولى ثلاثة خطوط : أسود ـ أبيض ـ أحمر •

كنت مذهولا بدرجة لا تتصور :

« قل لى يا « هانز » •• هل اختيار هذه الألوان : أسود ـ أبيض ـ أحمر • بطريق الصدفة ، أم أنها ترمز الى شىء » ؟

لم أتوقع فى جميع مجالات « الكفاح ضد المذهبية » أن يقع الاختيار ذات يوم فى موسكو ، على الألوان : الأسود والأبيض والأحمر رمزا سياسيا •

قال « هانز » :

« لا ! ليس هذا مصادفة • اذ ليست حركة « ألمانيا الحرة » امتدادا لحركة مناهضة للفاشية بالمعنى المألوف ، بل لها — وربما أدركت ذلك من نداتها الأول — هدف ، وهو توحيد كل القوى ضد « هتلر » ، بما فيهم الوطنيين الألمانيين ، والمحافظين ، وحتى الوطنيين الاشتراكيين على الأقل أولئك الذين يعارضون « هتلر » بطريق أو بآخر » •

كان انصاتى له باهتمام داعيا له للاستمرار فى الكلام :

« انعقدت سلسلة من الاجتماعات الهامة قبل تأسيس اللجنة الوطنية ، فاختاروا فى البداية الألوان : أسود — أحمر — ذهبى • رمزا لحركة « ألمانيا الحرة » ، ولكن الأصدقاء السوفييت كانوا مترددين ، بل عارض « مانوئلسكى » هذا الاختيار ، وكانت حجته أن العلم الأسود والأحمر والذهبى يذكرنا بالجمهورية « الفايمرية » • يذكرنا بعهد الضعف والأزمات والجيوش الجرارة من المتعطلين ، وسوف يجعل مجال الحركة ضيقا • أما العلم الأسود والأبيض والأحمر ، فسيكون أحسن من الأول بكثير لأنه محبوب عند ضباط القوات المسلحة الألمانية ، وسيخلق بذلك حركة وطنية حقيقية تعتمد على قاعدة عريضة من أبناء الشعب » •

وعندما أردت توديعه ، استوقفنى بالاستمرار فى الحديث :

« سوف يبت فى مسألة عملك فى القريب العاجل ، ستصل المركب البخارى من « أوفا » بعد غد ، ثم ندعو الى الاجتماع مع كل أعضاء المجموعة التى كانت فى مدرسة جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية » •

كان المركب البخارى القادم من « أوفا » الموضوع الرئيسى للحديث فى فندق « لوكس » فكل واحد كان يعلم ، ماذا يعنى وصول هذا المركب • اذ سيعود على هذا المركب الفوج الأخير من القياديين ومساعديهم الذين كانوا قد هاجروا الى « أوفا » ، ومعهم هيئة الاداريين والمدرسين والمتخرجين من مدرسة الجبهة فى « كوشنارينكوفو » •

ذهب البعض منا الى مرسى المركب البخارى ، وكان من المعجزات النادرة التى وقعت فى ذلك اليوم ، أن المركب وصلت فى الميعاد المحدد بالضبط ، فانطلقت الألسن بالتحيات والسلامات ، وظهرت علامات السرور على الوجوه فرحة باللقاء ثانية • وكان « بيرنارد كونين » يقف على ظهر المركب فلوح لى محييا :

— « ما الجديد فى موسكو » ؟

— « ظهر العدد الأول من جريدة « ألمانيا الحرة » وعلى فكرة فقد اختارت الحركة علما لها أيضا •

— « أى لون اختاروا » ؟

— « لن أقول لك ! خمن أولا » !

انتظرت جوابه بفارغ الصبر • فكر قليلا ثم قال :

— « لن يكون أحمر على أى حال ، ربما قررت اللجنة الوطنية أن يتكون علمها : أسود — أحمر — ذهبى » •

فقلت له مبتسما :

— « تخمينك خطأ ، فعلم اللجنة الوطنية : أسود — أبيض — أحمر » •

بدت علامات الجد على وجهه :

— « هذا جنون ! لا يوجد مثل هذا اطلاقا • لا تهزل فى مثل هذه الأشياء ، وكن جادا » •

— « بلى يا « برنارد » ! هذا صحيح ! حقيقة ، علم اللجنة الوطنية : أسود — أبيض — أحمر » •

غضب « برنارد » غضبا شديدا ، فقد اعتقد أن تلميذه فى مدرسة الجبهة قد سمح لنفسه بالمزاح السخيف معه ، فتركنى ومشى بعيدا عنى ، والغضب باد على وجهه ، ولم أعرف ماذا قال ، أو ماذا فكرعندما علم أن اللجنة الوطنية — حقيقة وليس مزاحا — اختارت ألوان دولة القيصر « فيلهيلم » •

وبعد أيام قليلة دعى المتخرجون الألمانيون من مدرسة الجبهة الى الاجتماع فى احدى حجرات فندق « لوكس » ورأس الاجتماع « هانز مالى » الذى كان آنذاك مسئولا عن القياديين من الشبان •

كنا نعلم أنه سيتقرر نوع عملنا فى هذا الاجتماع ، فجلسنا حول « هانز » بأعصاب مشدودة الى التطلع لمعرفة ما سيكون ، وعندما هم ببدء كلمته بتمهيد سياسى وقعت عينه على ، فقال لى :

« أنت لا تحتاج الى المشاركة فى هذا الاجتماع ، فقد اتخذ قرار بالنسبة لك ، سوف تعمل فى اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » •

سررت جدا ، فقد كنت أتمنى ذلك ، ثم أعطانى « هانز مالى » ورقة مكتوب عليها ••••

ثم قال : « هاهو ذا العنوان ، سلم نفسك هناك للرائد « بيك » •
لم يكن عندى أى فكرة عن وجود رائد يدعى « بيك » ولكنى تعلمت أنه لا يجوز للمرء أن يسأل • ودعت اخوانى أعضاء المجموعة الألمانية ، وبعد دقائق قليلة كنت فى الطريق الى مقر عملى الجديد : اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » •

* * *

معهد رقم ٩٩

تكونت اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » فى يومى ١٢ ، ١٣ يوليو سنة ١٩٤٣ م فى صالة Krasnogorsker Stadtsowjet بعد استعدادات سياسية ودعائية ، وبعد نشر النداء فى جريدة « الكلمة الحرة » التى كانت تصدر آنذاك لأسرى الحرب الألمانيين فى الاتحاد السوفييتى •
اهتمت الصحافة السوفييتية بنشر هذه الأحداث وأفسحت لها مساحات واسعة فى صفحاتها ، فقد نشرت « برافدا » ترجمة النداء باللغة الروسية على صفحة كاملة •
انتشرت أنباء فى أوساط اللاجئين فى فندق « لوكس » أن هناك أملا فى أن يحضر بعض كبار الضباط جلسة تأسيس اللجنة الوطنية ، وينضمون اليها ، غير أنه عندما بدأ الهجوم الألمانى المضاد فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٣ عند « كورسك » ، تأرجح بعضهم ، وسحبوا موافقتهم على الحضور ، وهكذا لم ينضم للجنة الوطنية سوى بعض الضباط ومن بينهم الرائد « هومان » ابن صاحب الشركات الملاحية المشهور فى « هامبورج » ، والمقدم « هادرمان » مؤسس مجموعة الضباط الأولى المناهضة للفاشية فى Jelabuga فى شتاء عامى ٤١ — ١٩٤٢ م ، والرائد « هيتس » مهندس من « كونجسبرج » والملازم « هاينريش جراف فون آين زيديل » •
كان فى اللجنة الوطنية من أعضاء قيادة اللاجئين « فيلهيلم بيك » و « فالتر أولبريخت » و « فيلهيلم فلورين » (توفى فى عام ١٩٤٤ م) و « هيرمان ماتيرن » و « أنتون آكارمان » و « ادوين هورنل » و « مارتا آرنيدزى » •
كذلك كان بعض الكتاب المناهضين للفاشية ، والذين يعيشون منفيين فى الاتحاد السوفييتى مندوبين فى اللجنة الوطنية وهم :

« يوحنا • ر • بيشر » و « فيلى بريدل » و « تيودور بليفير » و « جوستاف فون فانج هايم » و « فريدريش فولف » •

وتولى « اريريش فاينرت » — وكان ذلك مفاجأة لنا — رئاسة اللجنة الوطنية •

صورت حفلة تأسيس اللجنة الوطنية تصويرا سينمائيا ، وظهرت لقطات هذا الفيلم فى نشرة أخبار التليفزيون السوفييتى ، وفى أفلام الاعلانات الاخبارية فى جميع دور السينما • شاهدت هذه الأفلام وشعرت باعجاب المشاهدين السوفييت ، الذين رأوا ضباطا وجنودا — على شاشة الاعلانات — من الجيش الألمانى بملابسهم الرسمية وعليها النياشين وزاد فى اعجابهم شعورهم بأن هؤلاء الضباط والجنود أصبحوا أصدقاء لهم • وبعد التأسيس بفترة قصيرة ، فى منتصف أغسطس ، انتقلت اللجنة الوطنية من « كراسنو — جورسك » الى « لينافو » (على بعد ٣٥ كيلومتر تقريبا من موسكو) • وكان بيت استجمام لنقابة السكك الحديدية سابقا •

لم أذهب قط الى « لينافو » مدة عملى فى اللجنة الوطنية التى امتدت الى عام ونصف ، ولم أتعرف — باستثناء مقابلات عابرة — على عضو من أعضاء هذه اللجنة ، التابعين لمجموعة أسرى الحرب ، فقد عشت واشتغلت مع اللاجئين الألمانيين ، ومنهم ١٢ عضوا فى اللجنة الوطنية •

لقد استطعت أن أتأكد فى الأيام الأولى من عملى ، أن هناك لجنتان وطنيتان : الرسمية ومقرها « لينافو » وغير الرسمية ، وتتكون من بعض اللاجئين ومقرها فى حارة جانبية متفرعة من ميدان « أربات » • يوحى المبنى بأنه مهمل ، اذ لا يوجد أى اشارة تقود الغريب الى مقر هذه اللجنة •

هل يوجد هنا حقيقة مقر اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » التى كان لتأسيسها هذا الدوى فى وسائل الاعلام ؟ صعدت السلم وأنا شاك فى أن مقر اللجنة هنا فى هذا المبنى • لا اشارة اطلاقا — لا لوحة بأسماء الساكنين ، ولا لوحة مكاتب عامة • رأيت فى الطابق الرابع بابا مفتوحا على مصراعيه ، وخلف المدخل مباشرة ، جلس ضابط سوفييتى شاب على أحد المكاتب سألنى بالروسية :

— « ماذا تريد أيها الرفيق » ؟

ترددت لحظة ، ثم قلت :

ـ « فى الحقيقة ! .. أنى أبحث عن اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » .

ـ « ادخل ! هنا مقرها » .

دخلت الصالة مندهشا ، فاقترب منى ضابط سوفييتى يرتدى الملابس العسكرية ويحمل رتبة رائد .

قدم نفسه لى باسم : رائد « بيك » .

فأجبته : « فولف جانج ليونهارد » . لأن الاسم « ليندين » أصبح الآن من أحداث الماضى .

تحدث الرائد السوفييتى « بيك » ـ وعلمت فيما بعد أنه كان ابن « فيلهيلم بيك » ـ باللغة الألمانية . كنت مرتبكا ، لأنى لم أر قط ألمانيا يرتدى ملابس عسكرية سوفييتية . فقال لى :

« لقد سمعت عنك ، أنا مسرور لرؤيتك ، سأقدمك حالا للرفيق « كارل مارون » .

قادنى الرائد « بيك » خلال ممر على جانبيه ثمانى أو عشر حجرات ، وكان معظمها خاليا ، ربما لم يكتمل بعد مبنى المؤسسة !

وكان فى آخر حجرة عدد من المكاتب والكراسى ، وخلف جبل من الأوراق وعدد كبير من خراطيش السجائر جلس رجل يميل الى السمنة ، فى سن الأربعين تقريبا ، وكان هو « كارل مارون » .

لو قال لى أحد آنذاك أن « كارل مارون » سيصبح بعد أعوام قليلة رئيس الشرطة فى المنطقة الألمانية الواقعة تحت الاحتلال السوفييتى ، لضحكت على هذا بصوت عال ـ فلا يليق عليه المنصب أبدا .

كان يقرأ فى جريدة ، قدم لى سيجارة ، وبدا عليه ألا شىء يمكن أن يخرجه من سكونه وراحته . قال الرائد « بيك » :

« أنا لا أعرف ماذا ستعمل هنا ، فمن واجبى الاشراف على عملية تأثيث اللجنة الوطنية فقط ، ولا شىء خلاف هذا » .

فضحك « كارل مارون » ثم قال :

« أنا لا أعرف شيئا أيضا . ففى غضون أيام قلائل ، سيكون كل شىء هنا مؤثثا ، ثم توجه الى عملك . وحتى ذلك الحين تعال كل يوم فى الساعة العاشرة ، واحضر معك شيئا تتسلى فى قراءته ، اذ لا يوجد عمل الآن » .

أحضرت كل يوم كتابا معى فقرأت بشغف « أيام مصدق الأربعين » لـ« فيرفيل » واندمجت معه متشوقا دائما الى ما يلى من أحداث .

ولم أنتظر طويلا ، فقد تحول الطابق الخالى فى زمن قصير جدا بالنسبة لطابع الادارة السوفييتية ، الى مكاتب مؤثثة بأحدث الأثاثات . واقتنعت مرة أخرى بأن الادارة السوفييتية تستطيع أن تؤدى ما عليها من واجبات على وجه أسرع ، اذا وقفت خلفها سلطة قوية تخشاها لو توانت أو تلكأت . ويبدو أن الوضع كان على هذا النحو فى قيامها بتأثيث هذا الطابق .

اختفى الرائد « بيك » وحل محله رجل فى نظراته دماثة ويدعى « كوسلوف » . وكان يشرح لكل واحد بأدب أنه على استعداد أن يحقق كل الرغبات ما دامت ممكنة من الناحيتين الادارية والفنية .

وسرعان ما تبين أن « كوسلوف » ليس شخصية هينة كما نظهر من تصرفاته ، فقد كان قياديا من الطبقة العليا ، كلفته اللجنة المركزية بأن يتولى الادارة هنا ، ويكون همزة وصل مع المؤسسات السوفييتية .

وذات يوم وصل سوفييتى آخر ، شاب أشقر ، صامت ، لم يعرف نفسه ، مقتصد جدا فى الكلام . ولم يكن من العسير ادراك أنه رئيس قسم شئون العاملين . وسرعان ما تناقل العاملون الهمس بأن اسمه « فوروبجوف » (أو على الأقل يدعى بهذا الاسم هنا) . وأكثر من هذا لم يعرف أحد عنه شيئا ، لأنه — مثل معظم رؤساء أقسام شئون العاملين السوفييت — لا يرى الا نادرا ، وفضل أن ينظم مسائل قسم شئون العاملين فى حجرة مغلقة عليه .

وفى غضون ذلك امتلأت الحجرات فكان يصل أفراد من اللاجئين السياسيين كل يوم تقريبا . فسمعت أصوات الآلات الكاتبة ، وكتبت التقارير ، وأنشىء « الأرشيف » ، وظهر من سيل الجمهور الداخل والخارج بأن هنا مؤسسة ازداد عمل موظفيها .

كانت الحجرات مقسمة : حجز منها اثنتان لقادة اللجنة الوطنية ، يجلس « ايريش فاينرت » فى واحدة ، و « فالتر أولبريخت » فى الثانية . وفى الحجرات الباقية هيئة تحرير جريدة « ألمانيا الحرة » ، ومحررو الاذاعة ، كذلك سكرتارية اللجنة الوطنية « الخاصة » .

لم يحدث ما يعكر الصفو أثناء عملية التعديل فى المكاتب وتأثيثها ،

باستثناء بعض أشياء صغيرة ، فقد سمعنا ذات يوم صوتا عاليا فى الحجرة المجاورة يسب ويلعن •

« ماذا حدث » ؟

أجاب « كارل مارون » والسيجارة فى فمه : « هذا فالتر أولبريخت » •

وعندما خرجت الى الممر وقفت على الأمر :

تدور المشكلة حول مكتب ، وبتعبير أدق ، كان مكتب « أولبريخت » صغيرا لا يناسبه ، وسرعان ما سويت المسألة ، فقد تدخل « كوسلوف » بسرعة فقال :

« لا تؤاخذنا أيها الرفيق « أولبريخت » ! فليست المسألة سوى خطأ فنيا فقط » •

وبدا لى كما لو كان يبتسم سخرية • وفى نفس اليوم بعد الظهر كان هناك مكتب كبير لـ« أولبريخت » •

كان هناك حجرتان لمحررى جرائد أسرى الحرب الايطالية والمجرية والرومانية ، وكانتا أصغر ، وتبدوان بالنسبة لحجرات اللجنة الوطنية كما لو كانتا من أقاربها الفقراء •

كان « لونجو » يعد الجريدة الايطالية للطبع ، وهو من خريجى مدرسة جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية ، وابن أحد زعماء الحزب الشيوعى الايطالى •

دعينا بعد بضعة أيام لمقابلات فردية مع « فوروبجوف » فأعطى كل واحد منا تعليمات مطبوعة مكتوب عليها — خلاف الاسم — هذه الكلمات بالخط العريض :

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية

معهـــد رقم ٩٩

قال « فوروبجوف » :

« هذه هى قواعد التعامل مع ادارات الخدمات ورجال السلطة السوفييتية ، فاذا سألتك جهات سوفييتية عن مكان عملك ، فلا تقل لهم : اللجنة الوطنية ، بل معهد رقم ٩٩ » •

اذن ، كنا معروفين عند السلطات السوفييتية باسم : معهد رقم ٩٩ ، ولكن كيف تتشكل العلاقة مع اللجنة الوطنية الحقيقية ؟ ثم وضحت الصورة بعد بدء العمل بحوالى أسبوع ، ففى « لينافو » — حيث المقر الرسمى للجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » — يجلس الجنود والضباط الألمانيين ، الذين انضموا الى اللجنة الوطنية ، وبالتالى كانوا أعضاء فيها ، ولديهم هناك — بالاضافة الى أشياء أخرى — هيئة تحرير جريدة ، واذاعة .

ولكن اتخذت الصفة المدنية هنا فأطلق على ادارات العمل : « الهيئة المدنية » أو « المجلس المدنى » . وكنا جميعا — نحن العاملين فى هذه الادارة — من اللاجئين الألمانيين الذين كانوا يعيشون منفيين فى الاتحاد السوفييتى .

من المحتمل أن معظم أعضاء اللجنة الوطنية فى « لينافو » كانوا على علم بوجود « المجلس المدنى » ولكنهم لم يعرفوا شيئا عن نشاطه . ولم يمض وقت قصير حتى أدركت أن الأعمال التحريرية السياسية كانت فى هذه الحجرات أنشط بكثير منها فى المقر الرسمى للجنة الوطنية .

* * *

هيئة تحرير جريدة « ألمانيا الحرة »

قال لى « مارون » :

— « ستعمل فى هيئة تحرير الجريدة ، وسيكون رئيس التحرير هنا غدا ، فاثبت حضورك عنده » .

— « من هو رئيس التحرير » ؟

— « رودلف هيرن شتات » .

« رودولف هيرن شتات » ؟ لم أسمع بهذا الاسم قط ، ولما كنت أعرف وثائق الحزب معرفة تامة ، فأعرف تماما أنه لم يوقع قط على بيان حزبى . وأكثر من هذا : لم يكن اسمه على البيان الذى وجه الى الشعب الألمانى فى ٣٠ يناير سنة ١٩٤٢ ، حيث وقعت عليه كل الشخصيات البارزة من اللاجئين السياسيين ، كذلك لم يكن اسمه على بيان تأسيس اللجنة الوطنية .

— « سيادتكم اذن ، فولف جانج ليونهارد » ؟

هكذا بدأ « هيرن شتات » حديثه معى ، فانكمشت لا راديا ، لأنها كانت المرة الأولى التى أخاطب فيها من اللاجئين الألمانيين بكلمة « سيادتكم » .

ـ « هل اشتغلتم قبل ذلك فى جريدة » ؟

سأل السؤال بأدب ، ونغمة تهكمية غامضة .

ـ « لا .. لقد تخرجت حديثا من مدرسة سياسية هنا ، ولم ندرس فيها شيئا كثيرا عن الأعمال الصحفية ، بل نظرة عامة فقط » .

لقد اخترت تعبير « مدرسة سياسية » ، لأنى لم أعلم عما اذا كان مسموحا لى أن أتحدث عن مدرسة جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية مع « رجل يبدو أنه عادى » (أى غير قيادى فى الحزب) ، لقد كان الوضع كله غريبا .

ـ « لا تهمنى المدارس السياسية ، فقد سألت سيادتكم عن العمل فى جريدة » .

ـ « لا .. لم أعمل فى جريدة حتى الآن » .

ـ « سوف يتحتم عليكم أن تتعلموا الكثير ، لأن العمل فى جريدة صعب جدا ، ومسئولية كبيرة ، أعتقد أنه واضحا لديكم ، أنكم ستبدأون من أول السلم » .

كان « هيرن شتات » مؤدبا وباردا فى طريقة كلامه ، فقد التزم مخاطبتى فى كل الوقت بلفظ « سيادتكم » . ولم يتحدث عن « النضال لتحرير الطبقة العمالية الألمانية » ولا عن الحزب . لقد تصرف كما كنت أتخيل تصرف أحد رؤساء هيئة تحرير جريدة رأسمالية ، لقد كنت مرتبكا ومتحيرا .

وأخيرا بدأ « هيرن شتات » حديثه عن طبيعة عملى :

« ستكونون حلقة الاتصال مع المطبعة ، تصححون « بروفات » الطبع ، وتساعدون جماعى الحروف الروسيين فى ترتيب الصفحات ، وقبل هذا تجهزون كل برقيات الأخبار التى ترد الينا تباعا » .

انهال يوميا سيل من برقيات قسم مراقبة الاستماع فى المعهد رقم ٢٠٥ ، وهو المؤسسة التى خلفت جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية ، وتتلقى هذه المؤسسة كل الأخبار والتحليلات الاذاعية من الاذاعات الموالية لـ« هتلر » ، ومن الاذاعات التى تعمل ضده .

كانت برقيات خاصة ، كتلك التى عرفتها فى مدرسة الجبهة ، ومن

بينها أيضا البلاغ الأحمر الذى كان يضم مقتطفات عن أى خبر من هذه الأخبار التى ترد الينا فى هذه البلاغات .

استدعانى « هيرن شتات » بعد أن بدأت العمل بوقت قصير :

« نحن نحتاج الى معلومات مفصلة عن مسائل اقتصادية معينة فى ألمانيا وأرجو منكم جمع هذه المعلومات ، وفى القائمة المرفقة عناوين المواضيع المطلوب جمع معلومات عنها » .

كنت متحيرا فى بادىء الأمر ، لأن المطلوب هو جمع معلومات عن موضوعات تخصصية دقيقة .

« لا تقلق .. فتوجد معلومات كثيرة عن كل هذه الموضوعات فى المعهد رقم ٢٠٥ ، ولا تحتاج لشىء سوى مقابلة السيدة « جيرترود كيللر » فهى ستدلك على كل شىء » .

ثم اتصل « هيرن شتات » تليفونيا بـ« جيمندر » رئيس المعهد رقم ٢٠٥ آنذاك ، وأخبره بأنى سأذهب الى المعهد لجمع هذه المعلومات . كان « جيمندر » آنذاك من طبقة القياديين العليا فى الحزب ، لم يستطع أحد دخول المعهد أو الخروج منه الا بجواز مرور بتوقيعه ، أو بتصريح منه . ولم يكن فى امكان أحد — حتى المتشائمين جدا — أن يتوقع أن « جيميندر » سيعدم رميا بالرصاص بعد سنوات عديدة — فى أكتوبر ١٩٥٢ م — فى تشيكوسلوفاكيا مع « سلانسكى » بتهمة « أعداء الشعب »

عندما دخلت المعهد رقم ٢٠٥ ، وبيدى جواز مرور موقع عليه « جيميندر » لأقابل السيدة « جيرترود كيللر » كنت شاكا فيما اذا كنت سأستطيع الحصول على المعلومات فى وقت قصير ! وسرعان ما تبينت أن هذا الشك كان خطأ ، فقد وجدت فى قاعة ضخمة « كاتالوجا » منظما حسب البلاد والموضوعات ، ومكتبة غنية بالمراجع الهامة السياسية والاقتصادية ، التى نشرت خارج الاتحاد السوفييتى ، وملئت صالة أخرى « بدوسيهات » تحتوى على مقتطفات من الصحف ورتبت أيضا حسب البلاد والموضوعات .

كان عند « جيرترود كيللر » مجموعة كبيرة من المساعدين ، كل واحد منهم مسئول عن موضوع خاص أو بلد معين ، وكان بينهم عدد من خريجى مدرسة جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية . كان جرس التليفون لا يكف عن الرنين ، حيث يستفسر قياديون من بلاد مختلفة ، ومحررو ما يسمى بالاذاعات السرية ، وعاملون من المعهد رقم ٢٠٥ عن

معلومات فى موضوعات مختلفة يبحثونها ، وكان الرد على معظم هذه الطلبات ، بارسال المطلوب مع ساع مخصوص •

بدت قائمة موضوعاتى عادية بالنسبة لها ، اذ قالت لى :

« من فضلك •• اجلس هناك فى قاعة المطالعة ، فسوف تحصل حالا من المساعد الألمانى على كل المقتطفات الصحفية المطلوبة لموضوعاتك من الصحافة الألمانية ، وصحافة الحلفاء ، والصحافة المحايدة » •

وفعلا ! كان أمامى بعد بضعة دقائق كل ما أحتاج اليه ، فتعجبت من كثرة المادة ، ودقة ، وشمول تنظيمها فى هذه المكتبة ، ومن التنظيم والسرعة فى احضار ما يطلبه الباحثون •

ويبدو أن اعتماد هذا المعهد المالى ، ومده بالمتخصصين ليس له حد ، وتأكدت من هذا خلال زياراتى المتعددة له على مدار عام كامل(١) •

فقد كنت أذهب الى هناك مرة كل أسبوع للبحث عن المواد المطلوبة لجريدتنا ، واستفدت من هذا كثيرا ، فعن هذا الطريق استطعت أن أكون صورة عن ألمانيا بعيدة كل البعد عما ينشر فى الصحافة السوفييتية الرسمية •

كذلك أعجبنى الجو فى المعهد رقم ٢٠٥ أكثر من الجو فى هيئة تحرير جريدة « ألمانيا الحرة » فى المعهد رقم ٩٩ ، حيث كان يعمل فى الشهور الأولى أربعة محررين فقط ، سرعان ما تعرفت عليهم تدريجيا •

« لوتر بولتس » كان يكتب مقالات عن ألمانيا ، ومعظمها بدون توقيع • وكان نشطا فى العمل ، يقرأ كل البلاغات التى تحتوى على مقتطفات من صحافة « هتلر » ، ثم يكتب مقاله • ويبدو أنه كان يعرف « هيرن شتات » من قبل ، لأنه الوحيد من المحررين الذى كان على علاقة طيبة به •

لم يتحدث عن نفسه كثيرا ، كما هو حال أولئك الذين عاشوا فى الاتحاد السوفييتى زمنا طويلا ، ورغم هذا فقد ظهر من كلامه القليل أنه كان محاميا فى « أوبرشليزين » ومضى على اقامته فى الاتحاد

---

(١) لم أر فى ألمانيا الغربية حتى اليوم معهدا ، فيه مواد عن الاتحاد السوفييتى وعن البلاد الشيوعية تقارب فى غزارتها ما فى المعهد السوفييتى رقم ٢٠٥ ، الذى جمعت فيه مواد عن البلاد غير السوفييتية ونظمت تنظيما لا يدانيه تنظيم فى المعاهد التى رأيتها فى ألمانيا الغربية •

السوفييتى عدة أعوام ، عمل فيه محررا فى « الجريد الحمراء » التى تصدر باللغة الألمانية فى « لينجراد » وفى « الجريدة المركزية الألمانية » فى موسكو ، ومدرسا للغة الألمانية والأدب الألمانى فى « نوفوزيبيرسك » غير أنه لم يظهر اسمه فى بيانات الحزب ، واستنتجت آنذاك من عدم توقيعه على المقالات التى كانت تنشر له فى الصحيفة عدم السماح له بالظهور ، ولم يكن ممكنا فى ذلك الوقت ادراك أنه سيصبح زعيم « الحزب الديمقراطى الوطنى » فى المنطقة الألمانية الواقعة تحت الاحتلال السوفييتى ، ووزيرا لخارجية « ألمانيا الديمقراطية » .

كان الرجل الثانى فى هيئة التحرير هو « الفريد كوريلا » لم يكن طول الوقت عندنا ، بل كان يحضر لمعالجة « الأشياء الصعبة » فقط ، وكانت كتابته قليلة ، ويبدو أن عمله الرئيسى انحصر فى تنقيح مقالات ضباط اللجنة الوطنية ، الذين يجلسون فى « لينافو » وفى رسم وتوضيح الخطوط السياسية للجريدة . وغالبا ما كان يناقش ذلك مع « هيرن ثتات » فى حجرة مغلقة عليهما وحدهما دون اشتراك أى من المحررين فى هذه المناقشة .

وعلى الضد من ذلك فى الوضوح الذى لا حد له ، كان نشاط « كارل مارون » فقد كان يكتب التحليلات العسكرية فى الجريدة موقعة باسمه دائما ، وكنا نلمس فى هذه التحليلات حرية واسعة نسبيا ، فقد تجنبت التحليلات الرسمية التى تردد ما يملى عليها ، ولم يكن من النادر أن يتناول فيها بعض التشخيصات للمشاكل التى يحللها ، فكانت بذلك أهم ابواب الجريدة .

والشخصية الأخيرة التى أذكرها هنا هو « أرنست هيلد » . كان مخرج مسرحى سابقا ، ثم جاء منفيا الى الاتحاد السوفييتى . وقع على البيان الموجه للشعب الألمانى فى ٣٠ يناير سنة ١٩٤٢ م بوصفه « ممثل المثقفين الألمانيين » . تولى قسم الثقافة والأخبار فى الجريدة . كان انسانا لطيفا ، وربما كان مخرجا ممتازا ، ولكنه لم يكن مناسبا للعمل فى الجريدة ، اذ كان يحتاج لصياغة خبر واحد من الوقت ما يتسع لكتابة مقالين فى موضوع التحليلات العسكرية من « كارل مارون » ، وصفحة ألمانية بأكلمها من « لوتر بولتس » غير أنه كان يتحدث دائما عن عدم رضاه فى هذا العمل وعن عدم استطاعته المساعدة بشكل كاف .

وعلى الرغم من أن « مارون » و « بولتس » و « كوريلا » كانوا أكبر مما كلفوا به ، فلم تكن هناك هيئة تحرير جماعية ، اذ كان معروفا أن « هيرن شتات » يمسك بكل الخيوط فى يده ، وكان على كل واحد من أعضاء هيئة التحرير أن يعطيه — مثل التلميذ فى المدرسة — مقالته ، ثم تعاد اليه وهى مشطبة ومعدلة دون أن يعلل لماذا حذف هذه الجملة ، ولماذا عدل تلك ! كانت سكرتيرته الخاصة « جورديفا » نقطة الاتصال بينهم وبينه ، وهى فتاة نمساوية ، تزوجت فى الاتحاد السوفييتى • بدا واضحا أنها كانت مفضلة عنده •

كان « رودلف هيرن شتات » قليل الحديث عن نفسه ، وعندما قرأت مقاله الأول أعجبت به جدا ، فقد كان « بطريقة أخرى » وعندما أبديت اعجابى بهذا المقال ابتسم المحررون الآخرون ، وقالوا : انه كان سابقا مراسلا لجريدة « برلينر تاجيبلات » (جريدة برلين اليومية) ولكن لم أعرف — كما لم يعرف المحررون الآخرون أيضا — ما فعله فى الاتحاد السوفييتى • لم أعرف سوى أنه كان متزوجا من فتاة روسية جميلة تدعى (Walija) ، درست — طبقا لمعلوماتى — فى مدرسة موسكو الحكومية للغات الأجنبية • لم يسكن فى فندق « لوكس » ككل المحررين ، وكان اتصاله باللاجئين الألمانيين أعضاء الحزب الشيوعى الألمانى قليلا ، وعلى العكس من ذلك فقد كان على صلة وثيقة بالمراكز السوفييتية •

قابلت فى الأعوام الطويلة التى عشتها حتى الآن فى الاتحاد السوفييتى نوعا من القياديين ، عديمى الشخصية ، فقد كانوا أناسا يبدون من النظرة الأولى أنهم وصلوا الى مراكزهم عن طريق العنف ، فهم مجردون من الثقافة العالية ، ومن الذكاء أيضا • وما كان يعجبنى دائما عند « هيرن شتات » هو جمعه بين هيئته الغربية ، والملابس الغربية ، وأسلوبه الغربى فى مقالاته ، وذكائه الخارق ، وبين تلك القسوة الباردة برود الثلج ، والتى كان يغطيها تغطية واهية بالمبالغة فى استعمال كلمات المجاملة الرخيصة •

لاحظت فى بادىء الأمر أن جريدتنا لا تخضع للرقابة ، وكان هذا وضعا غير مفهوم لى • فعندنا حرية كبيرة بالنسبة للأوضاع فى الاتحاد السوفييتى ، ولكن لم تسر الأمور دون رقابة •

استدعانى « هيرن شتات » فى أوائل سبتمبر سنة ١٩٤٣ وقال لى :
« أرجو أن تأخذ هذه النسخة وتذهب بها الى فندق « لوكس » للمراجعة » .

وذكر رقم الحجرة التى ينبغى أن أعطى هذه النسخة فيها .

— « من سيراجعها » ؟

— « اسأل عن « أرنو جيرو » » .

لم يكن أكثر من هذا مفاجأة لى ، فلقد توقعت أن جريدتنا خاضعة لرقابة القسم السابع فى الادارة السياسية الرئيسية فى الجيش الأحمر (التى تهتم بشئون الدعاية الموجهة للجيش الألمانى) أو لأحد ممثلى قسم الشئون الخارجية فى اللجنة المركزية للحزب البلشفى . ولكنى تأكدت الآن أن عضوا من مجموعة زعامة الحزب المجرى هو الذى يتحكم فى القرار الأخير لما ينشر فى جريدة اللجنة الوطنية الألمانية .

فرض على أن أقابل « أرنو جيرو » — الذى كان يبلغ من العمر ٤٥ عاما — كثيرا ، كذلك كان يقوم أيضا بين الحين والآخر بزيارة قصيرة لمقر هيئة التحرير ، وظهر لى — من طريقة وأسلوب معاملة « هيرن شتات » له — أنه كان يتمتع بنفوذ كبير . كان من عادته أن يعطى الاشارات السياسية فى ثنايا ثرثرة خفيفة ؛ وغالبا ما تكون متوارية فى جملة جانبية ، وتظهر فقط عن طريق الضغط البسيط على مخارج الحروف . كانت طريقته فى قراءة النسخة مدهشة ، فغالبا ما كان يلقى بعدد من أوراقها جانبا ، ثم يعثر بسرعة على الفقرات السياسية الهامة ، وأحيانا يشطب على كلمة وهو يبتسم ليستبدلها بأخرى أضعف أو أشد قليلا . لا زلت أذكر أحاديثه القصيرة التى كان يتبادلها معى ، أبانت عن معرفته الواسعة بالمشاكل الألمانية ؛ وعن قدرته ، وحساسيته السياسية ، التى ظهرت واضحة لى أيضا من طريقة قراءته لنسخة الجريدة المعدة للطبع .

يعيش « أرنو جيرو » فى الاتحاد السوفييتى منذ عام ١٩٢٣ حيث لعب دورا كبيرا على مستوى الزعامة فى جهاز جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية . كان فى أسبانيا أثناء الحرب الأهلية ، ثم عاد الى الاتحاد السوفييتى . لم يكن أثناء الحرب — بجانب نشاطه فى زعامة الحزب المجرى — يعمل مستشارا سياسيا للجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » فقط ، بل لعب دورا كبيرا أيضا فى ترسيخ وتعزيز سياسة الأحزاب

الشيوعية فى البلاد الأخرى ، وهو أحد زعماء قمة زعامة الحزب المجرى منذ عام ١٩٤٥ م دون انقطاع ، وتولى مناصب عليا هامة فى الحكومة • ان من المحتمل جدا أن « ارنو جيرو » — الذى هو أحد الأقطاب السياسيين الكبار فى المعسكر الشرقى — لا يقتصر نشاطه اليوم على المجر فقط •

كان عندنا أثناء غيابه رقيب آخر ، على الضد فى شخصيته من « ارنو جيرو » كان يدعى « اشتومف »(١) ويطابق اسمه •

كان « جيرو » مؤدبا ، واثقا من نفسه ، سريعا فى قراءته ، وتغييره البسيط فى بعض العبارات الهامة ، أما « اشتومف » — لم يكن مقيما فى فندق « لوكس » بل كان يسكن فى مسكن خاص قريب من بوابة « نيكيتسكى » — فكان يتناول النسخة بأيدى مرتعشة ، ويجلس قلقا يقرأ الجريدة ، وخائفا من أول كلمة الى آخر كلمة • يبدو أنه لم يكن معتادا على قراءة شىء من هذا القبيل ، ويعطى أمرا بنشرها ، وهى تعالج موضوعات بعيدة ومختلفة عما تقوله « برافدا » ، كأن يضع خطا تحت كل تعبير ، يرى — حسب فهمه — أنه بعيد عن النغمة الرسمية ، ويكتب أمامه فى الهامش علامة استفهام • وكان مقال « هيرن شتات » نفسه يقع ضحية قلمه ، فيشطب بعض الجمل ، ويغير الآخر ، ويحوله بذلك الى طابع مقالات « برافدا » •

كان « اشتومف » نموذج الموظف الخائف ، الذى تصيبه المسائل المعقدة بالدوار ، والذى لا يناسب اطلاقا فكرة اللجنة الوطنية بضباطها ونواياتها الألمانيين ، وبعلمها ذى الألوان الأسود والأبيض والأحمر • ولكننا لا نستطيع عمل شىء ازاء هذا الخوف « البيروقراطى » الزائد عن حده •

ولم يكن من النادر أن يراجع « هيرن شتات » كل التغييرات التى غيرها « اشتومف » ويعيد النص الى حالته الأصلية •

لم يمض وقت طويل حتى تأكدت أن جريدتنا تراقب أيضا من دوائر أعلى فقد ذكر مرارا اسم « مانوئلسكى » ، ولم يكن فى هذا ما يبعث على الدهشة ، لأن « مانوئلسكى » تولى منصبا عاليا فى جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية ، وكان صاحب القرار الأخير فى « أوفا » أثناء الحرب ، ولكن من المحتمل أن « مانوئلسكى » لم يكن نفسه هو مستشارنا

---

(١) معنى الاسم : بليد ، أو غير جاد • م • شامة •

الأعلى ، فذات يوم ، عندما كان عندنا مسألة صعبة فى مقال أحد الجنرالات الألمانيين ، وتحتاج الى حل ، وكان « ارنو جيرو » عندنا فى ذلك الوقت ، هز رأسه مبتسما وقال : مسألة معقدة تحتاج الى مشاورة مع ... وذكر اسما كان آنذاك من أعلى المستويات ، وهو « شتشير باكوف » .

خلف الجنرال « الكسندر شتشير باكوف » « خروتشوف » فى قيادة التنظيمات الحزبية فى موسكو ، ورشح نفسه بعد ثلاث سنوات — فى مؤتمر الحزب الثامن عشر ، الذى انعقد فى أوائل عام ١٩٤١ — مع « مالينكوف » لعضوية المكتب السياسى . وبهذا أصبح ضمن أعلى المستويات التى تقود زعامة الحزب السوفييتى . ومن الاحتمالات المؤكدة أنه كان مسئولا فى ذلك الوقت عن مسائل السياسة الخارجية .

كان أثناء الحرب رئيس الادارة الرئيسية السياسية للجيش الأحمر ، وفى نفس الوقت رئيس مكتب الاستعلامات السوفييتى ، الذى يصدر البلاغات الحربية يوميا . توفى فى ١١ مايو سنة ١٩٤٥ بعد انتهاء الحرب بيومين اثنين ، وأذيع رسميا أنه أصيب بنوبة قلبية ، وبعد موته بثمانية أعوام ، فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٣ م ، قيل ان بعض أطباء الكرملين قتلوه عن طريق الخطأ فى التشخيص ، واعطائه بعض الأدوية القاتلة . ولكن كذب هذا الادعاء بعد أسابيع قليلة ، أى فى ٤ ابريل سنة ١٩٥٣ م وأفرج عن أطباء الكرملين المعتقلين .

هكذا كانت أسباب موته غير واضحة ، وهكذا كان مؤكدا أن « شتشير باكوف » كان يتولى منصبا هاما أثناء الحرب . وغنى عن البيان أن كلمته كانت هى الفيصل فى اتخاذ القرارات السياسية الخارجية الهامة ، بوصفه رئيسا للادارة السياسية الرئيسية فى الجيش الأحمر . وعلى الرغم من أن اسمه كان يذكر عندنا نادرا ، الا أن من المؤكد أن قراره كان الكلمة الأخيرة فى المسائل السياسية الهامة فى اللجنة الوطنية .

* * *

رفض اقتراح الهدنة

كانت جريدة « ألمانيا الحرة » المحاطة بالألوان : الأسود والأبيض والأحمر تطبع فى مطبعة مقابلة للمبنى الذى نعمل فيه ، وتسمى هذه المطبعة « شرارة الثورة » . وكان يطبع فيها أيضا أثناء الحرب منشورات

موجهة الى الجيش الألمانى ، وجرائد لأسرى الحرب باللغة المجرية ، والرومانية ، والايطالية ، وكذلك المجلة الألمانية « الأدب العالمى » — الا أنها كانت تأتى فى آخر القائمة آنذاك — التى كان يصدرها « يوحنا ر • بيشر » •

أدركت فى الأيام الأولى أن طبيعة عملى « كحلقة اتصال مع المطبعة » هيأت لى الاطلاع على أشياء مهمة ، ونواحى لا يعرف عنها الا القليل من نواحى أنشطة اللجنة الوطنية • فقد استطعت الوقوف على التغييرات التى يدخلها « هيرن شتات » على المقالات • وغالبا ما كنت أشهد تغيير فقرات كاملة ، فى الدقائق الأخيرة ، ويبدو أنه كان بتوجيه من جهات عليا ، ففى الأسابيع الأولى بعد تأسيس اللجنة الوطنية حدثت واقعة : فقد تقرر طبع تهانى معسكرات الأسرى المختلفة — فى أغسطس فى أحد الأعداد الأولى — الى اللجنة الوطنية على الصفحة الأولى بالخط العريض ، ومن الطبيعى أن هذه المسألة لا تتعلق بنصوص كتبها الأسرى أنفسهم ، بل فكرت فيها ، وصاغتها جهات عليا ، ثم وصلت الى معسكرات الأسرى بطريق « مجهول » كى ترسل من هناك كـ« خطاب تهنئة » الى اللجنة الوطنية •

لاحظت باندهاش أن اللجنة الوطنية وصفت فى خطابات التهنئة على أنها « نواة الحكومة الألمانية المقبلة » • وعلى الرغم من أنى كنت متأكدا من أن اللجنة الوطنية محمية من المستويات العليا ، الا أنى اندهشت بشكل كبير لهذه الصيغ التى وردت فى هذه الخطابات •

أعدت الجريدة الاعداد النهائى للطبع ، وفى هذه اللحظة استدعانى « هيرن شتات » :

« لا تبدأوا بالطبع الآن •• وارسل لى « البروفة » الأخيرة ، لأنه لابد من ادخال بعض التغييرات البسيطة عليها » •

قال هذا بنغمة عدم الاكتراث ، وكانت ظاهرة اللامبالاة فى هذه النغمة أقل بكثير مما يتطلبه الموقف •

وبعد نصف ساعة عدت الى المطبعة • دلت « التغييرات البسيطة » على أشياء مهمة : اذ شطب « هيرن شتات » على كل الشارات التى تصف اللجنة الوطنية بأنها « نواة الحكومة الألمانية المقبلة » • وفى الوقت الذى كان فيه عامل المطبعة الروسى يغير الحروف طبقا للتعديل

الأخير ، كنت أسرح بفكرى فيم حدث فى نهاية أغسطس سنة ١٩٤٣ م من انحطاط مباغت لقيمة اللجنة الوطنية •

لم يكن هذا هو الحدث الوحيد الذى وقع فى الأسابيع الأولى من قيام اللجنة الوطنية ، ففى النصف الثانى من أغسطس سمعنا فى المعهد رقم ٩٩ أنه ستؤسس فى أول سبتمبر سنة ١٩٤٣ — أى فى الذكرى الرابعة لاندلاع الحرب — « رابطة الضباط الألمانيين » وسيكون أعضاؤها — بنوع خاص — من الرتب المتوسطة والعالية ، حتى الجنرالات الذين لم يكونوا فى يوليو سنة ١٩٤٣ م مستعدين للانضمام الى اللجنة الوطنية ، لأن الهدف — هكذا كان تعبيرنا آنذاك — كان « بعيدا » عنهم ، أقيمت الاستعدادات للتأسيس فى أول سبتمبر ، ثم أجل فجأة ، وانقطع الكلام عن « رابطة الضباط الألمانيين » ، ولم يعط تفسير لهذا التأجيل ، ثم وجهت عجلة القيادة فجأة بعد عشرة أيام نحو هذا الاتجاه ، وأعقب ذلك تأسيس « رابطة الضباط الألمانيين » فى ١١ ، ١٢ سبتمبر — بطريقة تبدو عليها الاستعجال — بقيادة الجنرال « فون زيدليتس » •

اعتقدت فى بادىء الأمر أن تأجيل تاريخ التأسيس كان لأسباب فنية ، ولكن حدث فى نفس الوقت أمر آخر حيرنى :

كان هذا فى النصف الأول من سبتمبر سنة ١٩٤٣ م • تلقيت من « هيرن شتات » مقالا بعنوان « هدنة — عرض الساعة » • هدنة ؟ وبدون وعى رجعت بتفكيرى بسرعة الى الوراء ، كان شعار اللجنة الوطنية آنذاك « الاطاحة بهتلر ، وانسحاب القوات الألمانية الى داخل حدود ألمانيا » ولم يكن هناك أى كلام عن هدنة •

قرأت المقال بامعان ، فوجدت أن كلمة هدنة ، لم ترد فيه الا مرتين ، ونغمته مخالفة تمام المخالفة لما تعودنا عليه ، فهو لم يخاطب فى المقام الأول الجنرالات والضباط المناهضين لـ« هتلر » بل كان — وان كان أيضا بصيغة غير مباشرة — فى الحقيقة عرضا للهدنة موجها الى الجهات الرسمية فى حكومة « هتلر » ، كان واضحا أن مثل هذا المقال يمكن أن يوحى به فقط « من أعلى مستوى فى الدولة » ، ثم انتظرت بأعصاب مشدودة ، الخطوات التالية فى الطريق الى المطبعة ومع ذلك ظل المقال دون تغيير ، وانتهت عملية التنقيح والتعديل ، وكان مقررا أن يبدأ الطبع فى الليل • وقبل منتصف الليل وصل « هيرن شتات » فجأة الى

المطبعة ، فأخذ « بروفة » الصفحة الأولى قبل الطبع بدقيقتين ، وتمتم مرة أخرى بأنه سيجرى بعض « التغييرات البسيطة » .

وعندما أعاد الورقة ، كان المقال الافتتاحى قد تغير ، فقد شطب « هيرن شتات » على كل تلميحة بالهدنة ، ووضع مكانها جملا مختلفة تمام الاختلاف عن الأولى .

وعندما انتهينا — أنا و « كارل مارون » — من تصحيح « البروفة » بعد التغيير ، وكنا ننتظر النسخة الأولى من المطبعة ، فكرت فى هذا التغيير الغريب . هل كان هناك حقيقة امكانية للهدنة مع « هتلر » ثم طرحت هذا التفكير جانبا ، لأنى اعتبرته آنذاك هواجس فقط .

ثم عرفت بعد سنوات عديدة ، أن محادثة جرت بين ممثلى الاتحاد السوفييتى وألمانيا الهتلرية فى النصف الأول من سبتمبر سنة ١٩٤٣ م فى « ستوكهولم » حول عقد هدنة بين البلدين .

فطبقا لما أورده « كلايست » فى كتابه : « بين هتلر وستالين » — وأعتقد أن ذلك صحيح — فقد كان لدى الزعماء الذين كانوا يملكون زمام الكلمة الأخيرة آنذاك فى الاتحاد السوفييتى . شك كبير فى الحلفاء الغربيين ، وكانوا يرون عقد هدنة ، أو حتى معاهدة سلام منفردة مع « هتلر » .

ولكن الاتصالات التى أعد لها فى سرية تامة من قبل ، قطعت بناء على أمر من « هتلر » .

أثرت هذه الاتصالات على الخط السياسى للجنة الوطنية ، فمن المحتمل جدا أنه لم يسمح فى تلك الأيام بنشر وصف اللجنة الوطنية بأنها « نواة الحكومة الألمانية المقبلة » فشطبت كل اشارة توحى بهذا الاتجاه . كذلك تأجيل تأسيس « رابطة الضباط الألمانيين » كانت له علاقة بهذه الاتصالات ، التى جرت فى « ستوكهولم » بين المفاوضين السوفييت والألمانيين .

ويظهر أن المقال الذى كتبه « هيرن شتات » فى جريدة « ألمانيا الحرة » عن « اقتراح الهدنة » كان بوحى من الاتحاد السوفييتى ، وبعد قطع المحادثات صدرت التعليمات الى « هيرن شتات » بسحب المقال وتغييره . ربما كانت علاقة « هيرن شتات » — الذى لم يكن على اتصال كبير باللاجئين الألمانيين — وثيقة بالمراكز العليا فى الاتحاد السوفييتى

حتى ان أخبار محادثات السلام — وان كان ذلك جزئيا — كانت تصل اليه •

أخذ « هيرن شتات » معه « البروفة » الأولى من مقاله التى كانت قد طبعت قبل التغيير ، وبهذا اختفى الدليل الوحيد المطبوع لهذا الحدث الذى لم يعرف حتى الآن الا من مذكرات أبحاث مشهورة فى « ستوكهولم » عن الهدنة بين المانيا الهتلرية والاتحاد السوفييتى فى خريف عام ١٩٤٣ م •

* * *

الشهور الأولى للجنة الوطنية

اذا نظرت الى الوراء ، يبدو لى أن وضع اللجنة الوطنية فى الشهور الأولى — تقريبا حتى مؤتمر طهران فى نوفمبر سنة ١٩٤٣ — كان ذا أهمية كبرى •

فقد اقترب عدد كبير من الجنرالات والضباط ذوى الرتب العليا من هدف اللجنة الوطنية بعد تأسيس « رابطة الضباط الألمانيين » فى ١١ ، ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٣ • غير أن هذه الرابطة فى بادىء الأمر على الأقل — لم تكن بأى حال من الأحوال تابعة للجنة الوطنية ، فقد كان لها استقلالها الذاتى ، ولها أيضا مجلس خاص بها • وكانت تختلف فى طبيعتها عن اللجنة الوطنية ، فبينما تكون اللجنة الوطنية فى قمة الحركة ، يمكن للمرء أن يصف « رابطة الضباط الألمانيين » بأنها أعضاء مسجلون على الورق •

اجتمعت الجمعية العمومية للجنة الوطنية فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٣ م لتنسيق نشاطها ، فاتسع حجم مجلس رئاستها بانضمام الرؤوس المتزعمة « رابطة الضباط الألمانيين » اليه ، وانتخب رئيس الرابطة الجنرال « فالتر فون زيدليتس » والجنرال « ايدلر فون دانيلس » نائبى رئيس اللجنة الوطنية ، كما انتخب الجنرال دكتور « كورفيس » والجنرال « مارتن لاتمن » والعميد « لويتد بولد شتايدل » والعميد « فان هوفن » ممثلين لـ « رابطة الضباط الألمانيين » فى اللجنة الوطنية ، فأصبح عددها الآن أكثر من خمسين عضوا •

ازدادت أهمية اللجنة الوطنية بانضمام الجنرالات الألمانيين اليها ، وزاد عدد أعضائها ، ولمست اهتمام الجانب السوفييتى بها من كثرة

زيارة « ارنو جيرو » كما ظهرت أهميتها من مكاتبات التأييد التى كانت تصل من الحلفاء ومن الدول الأخرى المحايدة .

كانت هناك فروق جوهرية بين دعاية اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » و « رابطة الضباط الألمانيين » من جانب ، وبين دعاية القسم السابع فى الادارة السياسية الرئيسية فى الجيش الأحمر من جانب آخر ، فبينما كان يطلب القسم السابع من الضباط والجنود الألمانيين وقف عمليات القتال ، لم تكن مثل هذه الظاهرة فى دعاية اللجنة الوطنية ، بل على العكس : فقد كانت أسس التفكير آنذاك : الاطاحة بـ« هتلر » وتنظيم انسحاب القوات الألمانية الى ما وراء حدود ألمانيا ، كى يهيأ الجو لعقد معاهدة سلام مشرفة مع الحلفاء .

انعقد مؤتمر الأقطاب الثلاثة فى طهران من ٢٨ نوفمبر حتى ١ ديسمبر سنة ١٩٤٣ م ونتج عنه توثيق علاقة الاتحاد السوفييتى مع الحلفاء الغربيين . واستطعنا أن نحس من الصحافة السوفييتية ، ومن الدعاية السياسية الداخلية ، أن العلاقة مع الحلفاء الغربيين ، قد قويت بعد مؤتمر طهران ، وأثر هذا على الاتجاهات السياسية ، وعلى نشاط اللجنة الوطنية .

فقد جرى الحديث فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ فى « الهيئة المدنية » وفى فندق « لوكس » أن البرنامج السياسى للجنة الوطنية ، أثبت أنه غير ذى أثر ، وأنه لا يتفق مع الحالة الحاضرة .

قررت مجموعة الضباط فى اللجنة الوطنية فى ٥ يناير سنة ١٩٤٤ قلب الاتجاهات السياسية . وعبر الرئيس « فاينرت » عن ذلك بقوله :

« نحن ندخل المرحلة الثانية . وهى تتطلب منا أن ننظم نضال الجنود والضباط والشعب والوطن على قاعدة أوسع ... الموقف يتغير ، ويجب أن تكون شعاراتنا مطابقة لطبيعة الزمن ... فقد أصبح العمل فى الجبهة الآن مقدم على كل عمل سواه » .

وفى النهاية أعلن « فيلهيلم بيك » الخطوط السياسية الجديدة :

« ليس من المعقول الانتظار حتى يوجد فى ألمانيا جنرال ، أو زعيم اداري يمنع « هتلر » فى اللحظات الأخيرة من اتمام جريمته ، ومن الميئوس منه وجود أحد من المسئولين من رجال الجيش ، أو الاداريين عنده الشجاعة للقيام بهذا العمل . لقد سمحنا لـ« هتلر » بالكثير ، ومن هنا يجب علينا تجنيد كل قوى الشعب والعمال والفلاحين والمثقفين .

يجب علينا شن نضال منظم لتحرير الشعب الألمـانى ... ونص النداء الذى نوجهه الى جنود الجبهة هو : وقف عمليات القتال والالتجاء الى اللجنة الوطنية » .

وبهذا تغير مفهوم ، وهدف اللجنة الوطنية تغييرا جذريا ، فقد كانت حتى مؤتمر طهران منظمة ، رسمت واجباتها فى اصدار بيانات أو ارسال خطابات مباشرة الى قادة الجيش ، تطالبهم بسحب قواتهم الى داخل حدود ألمـانيا ، وبهذا يهيئون جوا لعقد معاهدة سلام مشرفة لألمـانيا . أما الخط السياسى الجديد الذى ووفق عليه فى يناير سنة ١٩٤٤ ، فقد كانت النقطة الرئيسية فيه الدعوة الى « ثورة شعبية ضد هتلر » فى داخل ألمـانيا : واللجوء الى جانب اللجنة الوطنية فى الجبهة . وحصرت اللجنة الوطنية — من الآن — نشاطها على بيان أن الموقف العسكرى لألمـانيا الهتلرية ميئوس منه ، ولهذا تدعو القوات الألمـانية الى وقف عمليات القتال . وهذا يعنى عمليا أن يذهب الفرد طائعا الى الأسر ، ليحتفظ بحياته لبناء ألمـانيا جديدة .

احتل نشر أخبار الهاربين من صفوف الجيش الألمـانى ، ولجوئهم الى جانب اللجنة الوطنية المركز الأول فى الجريدة — الا أن ذلك لم يكن فى الغـالب سوى أفراد ، أو مجموعـات صغيرة ، كما حـدث عند « كراسنو — آرميسك » فى شمال (Swenigerodka)

وقعت حوادث فى الجبهة بعد أسابيع قليلة ، وضعت اللجنة الوطنية أمام واجبات كبيرة ، وكانت تتعلق بحصـار « كورسـوم شيفتشن كوفسكويا » الذى ذكر فى البلاغات الحربية الألمـانية باسم « حصار غرب تشيركسى » فقد اخترقت قوات الجيش السوفييتى خط الـ« دنيبر » — الذى كانت القيادة العليـا تعلق على اجتيازه آمالا كبيرة — على امتداد واسع ، وتوغلت عند نقط كثيرة فى الاتجاه الغربى ، ورغم هذا فقد تشبثت عشر فرق ألمـانية — بناء على أمر من « عتلر » — بمواقعها عند شاطىء الـ« دنيبر » ودافعت عنها دفاع المستميت . لم يكن من الصعب التنبؤ بأن هذه القوات يمكن أن تحاصر بسهولة ، وقد حدث ذلك فى الأيام الأخيرة من يناير عندما التقت مقدمة الجناح الجنوبى القادم من الجبهة الثانية فى « أوكرانيا » بمقدمة جناح قوات الجبهة الشمالية .

وبذلك حوصر فى منطقة « كورسوم شيفتشن كوفسكويا » الواقعة

غرب « تشيركسى » — طبقا للمعلومات التى نشرت آنذاك فى الاتحاد السوفييتى عدد يتراوح بين ٧٠ر٠٠٠ و ٨٠ر٠٠٠ جنديا وضابطا من قوات الجيش الألمانى •

وتنفيذا لتعليمات الجهات العليا سافر الجنرال « فون زيدليتس » والجنرال دكتور « كورفيس » وعدد كبير من الضباط الألمانيين الآخرين الأعضاء فى اللجنة الوطنية مع جنرال سوفييتى فى قطار خاص الى الجبهة ؛ ليحاولوا التأثير على الموقف • فأرسل الجنرال « فون زيدليتس » خطابا شخصيا الى الجنرال « ليب » وغمرت القوات المحاصرة بالمنشورات والنداءات • غير أن حملة الدعاية التى قامت بها اللجنة الوطنية ، و « رابطة الضباط الألمانيين » لم تحدث أثرا كبيرا ؛ كذلك لم تكن أيضا موفقة ، لأن قوات ألمانية أرسلت لفك الحصار ، فقاتلت وشقت طريقها حتى وصلت على بعد بضعة كيلو مترات من المحاصرين ، فلاحت فرصة فك الحصار • وفعلا نجح جزء كبير — كما عرفت فيما بعد من مسئول كبير كان فى الجبهة — من المحاصرين فى فتح ثغرة لهم والخروج من الحصار •

الا أن الدعاية السوفييتية ألقت ستارا من الصمت على ما قام به الجيش الألمانى من فك الحصار بالقوة ؛ وأعلنت أن ٥٥ر٠٠٠ من الجنود الألمانيين وقعوا فى الأسر ، بينما الحقيقة أن ١٨ر٠٠٠ فقط هم الذين استسلموا • كذلك نقلت جريدة « ألمانيا الحرة » — وان كان ذلك بأسلوب مختلف — ما نشرته الصحافة السوفييتية • ثم أضيف الى ذلك أن نصف أولئك الذين وقعوا فى الأسر أعلنوا — بعد وقوعهم فى الأسر مباشرة — انضمامهم لحركة « ألمانيا الحرة » وكن هذا أيضا مبالغة أيضا ، كما أخبرنى مسئول كبير فى الجبهة فى حديث خاص معى •

رغم الاشتراك المباشر للأعضاء الكبار فى اللجنة الوطنية ، وفى « رابطة الضباط الألمانيين » ؛ ورغم الاذاعات والجرائد والمنشورات ؛ والدعاية المباشرة فى الجبهة ، فقد أصيبت اللجنة الوطنية بهزيمة منكرة •

كانت هناك حوادث صغيرة فردية ، نفخت فيها جريدة « ألمانيا الحرة » وعملت منها أشياء ضخمة ؛ وبينتها على أنها نجاح كبير ؛ فقد انحصرت الأخبار فى أوائل عام ١٩٤٤ م على هروب « هاينس ميلر » — وهو برتبة مساعد ضابط من « براون شفايج » — هبط بطائرته فى ٥ يناير سنة ١٩٤٤ فى احدى المطارات السوفييتية ، وصرح بعد هبوطه

بأنه عندما سمع مع زملائه اذاعة « ألمانيا الحرة » ، قرر — هكذا صرح « هاينس ميللر » — بأن يلجأ فى أقرب فرصة ممكنة الى جانب اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » •

وقرظ ميكانيكى الطائرات — الذى هو من « براون شفايج » — « هاينس ميللر » فى مقال على عدة أعمدة على لجوئه الى اللجنة الوطنية ، مع طائرة طراز (Ju 52)

وفى مارس سنة ١٩٤٤ غندما استسلم ١٨٠٠ جنديا وضابطا فى حصار صغير عند الجبهة الجنوبية فى (Snigrewka- Beresnowatoje) كتبت التقارير فى هيئة تحرير الجريدة أن كثيرا من هذه الوحدة — على عكس حالة حصار « شيفتشن كوفسكويا » — كانوا يعرفون الكثير عن اللجنة الوطنية •

ولكن كل هذا لم يكن مطابقا لما كان يتوقعه المسئولون فى موسكو عندما أسست اللجنة الوطنية • ولم يرتفع شأن اللجنة مرة أخرى الا فى صيف عام ١٩٤٤ م ؛ ولكنى لم أشهد هذا فى هيئة تحرير الجريدة •

* * *

مذيع فى اذاعة « ألمانيا الحرة »

اتسعت بمرور الأيام واجبات « الهيئة المدنية » أو المعهد ٩٩ ، حتى ضاقت المكاتب بالعاملين فيها • كان « كوسلوف » — همزة الوصل بيننا وبين الادارات السوفييتية — يطمح فى توسيع دائرة اختصاص « مؤسسته » على الرغم من أنه لم يشارك مباشرة فى العمل الذى نقوم به • كان يطمئننا بقوله : « سوف أعمل شيئا » •

كان حصول ادارة ما على حجرة صغيرة زيادة على ما عندها من الأمور الصعبة جدا فى موسكو وقت السلم ، فقد انتظرت كثير من المؤسسات المهمة سنين عديدة اعتماد حجرات تضاف الى مكاتبها التى ضاقت بالعاملين بها ، وأصبح من المستحيل الآن ، فى معمعة الحرب ، الحصول على حجرات اضافية •

رجع « كوسلوف » بعد بضعة أيام ، وعلامات السرور بادية على وجهه ، ثم قال لنا بحماس بالغ الفرحة : « لقد وجدنا مقرا رائعا » ، ثم دعينا فيما بعد للذهاب الى هناك لمعاينة المقر الجديد ، وبعد ربع ساعة وقفنا مدهوشين أمام المبنى الجميل رقم ٣ فى شارع « أبوخا » •

يقع هذا المنزل أيضا فى قلب وسط المدينة ، ولا يبعد عن A Boulevard ويبدو أنه كان سابقا « فيلا » لأحد التجار ، أو لأحد كبار الموظفين فحجراته واسعة بنوافذ كبيرة ، وتحوطه حديقة واسعة، وله بوابة ضخمة خارجية — تعتبر بالنسبة لموسكو خيالية — يربطها بمدخل المبنى طريق طويل يخترق الحديقة • كنت أعرف هذا المنزل من قبل ، فقد كان مسكنا للاجئين السياسيين حتى بداية الحرب فى عام ١٩٤١ م • أقام فى هذا المنزل عدد كبير من اللاجئين الألمـانيين والنمساويين سنوات عديدة ، انحشروا فيه كما يحشر « السردين » فى العلب •

ثم نفى جزء منهم الى « كازاخستان » والجزء الآخر الى « تومسك » فأصبح المنزل خاليـا •

كان كبيرا علينا ، فجهازنا لا يحتاج الى مثل هذه المساحة الضخمة :

— « هل تقرر أن يكون المنزل كله للمعهد رقم ٩٩ » ؟

— « لا •• ليس كله ، بل النصف فقط ، والنصف الآخر لمؤسسة أخرى » •

—« وما هى تلك المؤسسة » ؟

حك « كوسلوف » فى شعره مفكرا ، ثم قال :

« اللجنة البولندية للتحرير الوطنى » •

لم يكن ارتباكه مستغربا ، اذ لم يبدو مثل هذا « الاشـتراك فى المبنى » وضعا صحيحا من الوجهة السياسية ، فقد بدت تلميحات فى أوائل عام ١٩٤٤ م الى الحدود الألمـانية البولندية ، التى ستحدد فيما بعد ، وسيكون ذلك غير مناسب لألمـانيا • أما « كوسلوف » — الذى شعر بالحرج عندما فكر فى هذا — فقد طمأننا بقوله :

« كلا المؤسستين منفصلتان عن بعضهما ، وسيظلان كذلك ، فللمنزل مدخلان منفصلان ، ولهذا لن يضـايقكم شىء ، فلن تحتكوا باللجنة البولندية على الاطلاق » •

لم يمض على انتقالنا الى المنزل سوى فترة قصيرة جدا حين قرأنا فى جريدة نازية أن اللجنة الوطنية الألمـانية ، والبولندية تقيمان معا فى مبنى واحد فى موسكو • أحدث هذا النبأ ثورة نفسية ، لأنه لم يكن واضحا لنا كيفية وصول هذا الخبر بهذه السرعة الى النازيين ، والحرب دائرة على قدم وساق •

حدثت بعض التغييرات فى هيئة التحرير بعد الانتقال الى هذا المنزل

مباشرة ، فقد انضم الينا عضوان جديدان هما « فيلى ايلدرمان » و « بيتر فلورين » •

عاد « فيلى ايلدرمان » قبل وقت قصير من شمال أفريقيا ، فقد اشترك فى الحرب الأسبانية ، ثم اعتقل فى شمال أفريقيا ، وأطلق سراحه بعد نزول قوات الحلفاء هناك ، فانضم الى الجيش الانجليزى ، وظل معه بعضا من الوقت • أفرج عنه مع آخرين — على أساس بنود معاهدة — فوصلوا الى موسكو عن طريق طهران •

قابلته فيما بعد فى برلين عندما أصبح قياديا فى حزب الاتحاد الاشتراكى الألمانى ، وعمل زمنا طويلا فى هيئة تحرير مجلة الاتحاد الاشتراكى الألمانى المعروفة باسم « الوحدة » •

أما « بيتر فلورين » فهو ابن عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى الألمانى « فيلهيلم فلورين » وأعرفه من قبل ، لأننا كنا معا فى مدرسة « كارل ليبكنيشت » ، وكنا أصدقاء مدة طويلة • ثم قابلته بعد عام ١٩٤٥ فى المنطقة الألمانية الواقعة تحت الاحتلال السوفييتى ، وكان رئيس تحرير مجلة الاتحاد الاشتراكى الألمانى المعروفة باسم « الحرية فى هالل » ثم ارتقى فيما بعد الى رئيس قسم فى وزارة الخارجية فى المنطقة الألمانية الواقعة تحت الاحتلال السوفييتى ، ورئيس لجنة السياسة الخارجية فى مجلس الشعب •

اتسع عمل هيئة التحرير ، فأسند الى — بجانب عملى الحالى — بعض الأعمال التحريرية الصغيرة ، ورغم هذا فلم أكن مسرورا ، لأنه لم يتغير شىء فى أسلوب عمل هيئة لتحرير ، ولا فى تحكم « هيرن شتات » « الاوتوقراطى » • ولهذا فرحت جدا عندما تغير عملى على غير انتظار فى مايو سنة ١٩٤٤ م •

قابلت « أنتون آكارمان » فى منتصف مايو سنة ١٩٤٤ ، وكان آنذاك رئيس هيئة تحرير الاذاعة ، فقال لى :

— « لقد فكرنا فى انتقالك الينا فى هيئة تحرير الاذاعة ، وتتولى العمل مذيعا ، وسيكون العمل بالتأكيد أحسن لك من العمل الذى تقوم به فى الجريدة » •

— « أتمنى بكل سرور أن آتى اليكم ، ولكنى لا أعلم عما اذا كان « هيرن شتات » سيسمح بذلك » ؟

ابتسم « أنتون آكارمان » ثم قال :

ـ « اذا كنت موافقا ، فتعال معى دون حرج ، فقد تحدثت عنك فعلا مع « هيرن شتات » .

ـ « اذا كان الأمر يتعلق بى أنا ، فأنا أحب أن آت اليكم فى الاذاعة اليوم قبل غد » .

ـ « اذن ، فلتأت معى الآن ، سنذهب بالعربة الى محطة الاذاعة ، ويمكنك أن تلقى نظرة على العمل هناك » .

ظننت أننا سنذهب الى دار اذاعة موسكو ، ولكن بدلا من هذا اتجهت العربة فى طريق معاكس لطريق اذاعة موسكو ، ثم وقفت بعد ربع ساعة أمام منزل جديد رقم ٣٤ فى شارع « شابلفكا » .

كان هذا المنزل محاطا أيضا بحديقة مسورة ، ويقف أمامه الحراس . فتشت أوراقنا فى المبنى الصغير الملاصق للبوابة الخارجية ، وهناك عرفت أين نحن ! فى محطة تليفزيون القناة الأولى فى الاتحاد السوفييتى . لقد انتهى بناؤها ـ حسب معلوماتى ـ فى عامى ٣٨ ـ ١٩٣٩ م ومنذ ذلك الحين ترسل من هنا البرامج التليفزيونية ، غير أن قوة الارسال كانت آنذاك محدودة فى دائرة ضيقة ، ولكنه توقف فى بداية الحرب . والآن : تذيع اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » برنامجها من هنا ، وسمعت فيما بعد أن برنامج التشويش المشهور - Zwischenruf) (Sendungen وهو نداء بشعارات تبث خلال برنامج الاذاعة المراد التشويش عليها) كان يذاع من استوديو آخر فى نفس المبنى . وقيل انه ضبط ـ بواسطة أجهزة خاصة ـ على المحطة الألمانية ، ضبطا يمكنهم بواسطة النداءات المتخللة التشويش عليها بسهولة . وسمعت مرارا أن الذى يتولى بث هذه النداءات ـ ولا زال يتذكره كثيرون من مستمعى الاذاعة فى ألمانيا ـ هو « باول فانديل » ـ وليس غيره ـ الذى كان مدرسا فى مدرسة جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية .

دخلنا حجرة ضخمة مليئة بأجهزة التليفزيون المعقدة ، فحيانا المهندس ومساعدوه . ثم سمعت شرحا لطبيعة العمل من « أنتون آكارمان » ومن المذيع « فريتس هايلمان » وقد كان عضوا سابقا فى برلمان ولاية « تورينجن » عن الحزب الشيوعى .

قال « أنتون آكارمان » :

« المسألة بسيطة جدا ، فستسمع الآن كيف يذيع « هايلمان » ثم بعد ذلك تجرب مرة أو مرتين » .

حدث هذا أيضا ، لقد كنت أتوقع أن أقوم بتدريبات لمدة بضعة أسابيع ، ولكن أعطيت بعض الأوراق فى الفترة الاذاعية التالية ، ثم قيل لى :

— « الآن ! « فولف جانج » ألا تريد أن تحاول مباشرة » ؟

— « كيف ؟ مباشرة على الهواء » ؟

جلست فى الفترة الاذاعية التالية فى الاستوديو بجانب « فريتس هايلمان » ثم أعطانى بعض التعليمات بسرعة جدا ، وبعدها بدقائق أضيئت « اللمبة الحمراء » ، ثم سمعت لحن أغنية « الله .. الذى ينمى الحديد » ، وكان هذا دائما مقدمة برنامجنا • ثم انطلق صوت « فريتس هايلمان » عبر الأثير واضحا :

هنا صوت اذاعة اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » .. نتحدث باسم الشعب الألمانى .. ننادى بانقاذ الامبراطورية ..وبعد أن قرأ « هايلمان » نشرة الأخبار ، قرأت أنا التعليق العسكرى •

بعد أن انتهيت قابلنى « آكارمان » بابتسامة :

« أرأيت .. لقد سارت الأمور سيرا رائعا .. اذن تستطيع أن تبدأ غدا ، ستقرأ مبدئيا مع « هايلمان » ، فاذا أتقنت كل شىء ، تقسم البرامج بينكما » •

وهكذا أصبحت مذيعا فى اذاعة « ألمانيا الحرة » ، كان عملا شاقا ، ولكن كنا نحصل فى مقابل هذا على امتيازات خاصة : اذ يعد المذيع — وخاصة اذا كان يقوم بعمله فى الليل — من الطبقة المفضلة فى المرتبات فى الاتحاد السوفييتى ، فلكل واحد « حجرة استراحة » فى مبنى الاذاعة ، ونأخذ مرتين فى الأسبوع — بجانب ما نحصل عليه من فندق « لوكس » من طعام فاخر وخلافه — طرودا مليئة بالأطعمة الخاصة كانوا يسمونها (Pojoks) .

غير أن لوظيفة مذيع فى الاتحاد السوفييتى آثارا جانبية : فالرقابة والتسمع على المذيع دقيقة جدا ، ويحاسب حسابا عسيرا على أقل خطأ فى الاذاعة ، ولحسن الحظ ، كانت اذاعة « ألمانيا الحرة » هى الاذاعة الوحيدة التى لها وضع خاص فى الاتحاد السوفييتى ، فلم تكن تابعة لهيئة الرقابة على البرامج الاذاعية •

كان مراقب اذاعتنا هو « برونو شرام » أحد القياديين فى الحزب الشيوعى ، وهو من حى « نويكولن » فى برلين • لجأ الى الاتحاد

السوفييتى فى عام ١٩٣٣ م • واشترك فى الحرب الأسبانية ، انحصر عمله فى رقابة التشويش الفنى ، وتسجيل الأخطاء اللغوية التى نقع فيها فى سجل خاص ، يرسل الى « آكارمان » للتوقيع عليه •

كانت أخطاؤنا اللغوية — التى وقعت أنا و « فريتس هايلمان » فيها — فى مدى عام كامل بسيطة وقليلة جدا ، ولم تحدث أخطاء اذاعية سوى مرة واحدة ، كان يستعان أحيانا بالسيدة « لى فاينر » — زوجة رئيس اللجنة الوطنية — عندما يمرض أحدنا ، أو يطرأ له طارىء يعوقه عن العمل • وغالبا ما كان يحدث ، أن يطلب منا تليفونيا قبل الاذاعة بوقت قصير ادخال بعض التعديلات على النص • وذات مساء طلب من « لى فاينر » قبل الاذاعة بدقائق ، تغيير كلمة « فاشية » على الصفحة الأولى بكلمة « الاشتراكية الوطنية » ، ثم أضيئت « اللمبة الحمراء » بعد ذلك مباشرة ، فانطلق صوت « لى فاينر » عبر الأثير : هنا يتحدث صوت الاشتراكية الوطنية • لقد كان موقفا فظيعا ، فلو كانت تذيع من اذاعة موسكو ووقعت فى هذا الخطأ ، لتحدد مصيرها بعده مباشرة ! ولحسن الحظ لم يتخذ فى اذاعتنا أى اجراء ضدها •

كان من الأمور المعتادة أن نقوم بتجربة قبل بدء الاذاعة ، لنتأكد من سلامة التوصيلات الفنية ، وكان مسموحا فى هذه التجربة قراءة أى شىء ، لأنه لا يرسل عبر الأثير ، وذات يوم أردت المذاعة فى عملية التجربة ، فتحدثت بالانجليزية :

« هنا محطة اذاعة اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » نتحدث اليكم باسم الشعب الألمانى ، نحن ننادى بانقاذ الامبراطورية » • وعندما خرجت من الاستديو رأيت وجه المساعدة الفنية مصفرا ، فقد انطلقت التجربة عبر الأثير مباشرة •

ثم قالت بصوت مرتعش ، وهى مضطربة :

« ماذا سيحدث بعد ذلك » ؟

شعرت أيضا بالانقباض ، فقد كنا نعتقد نحن المحررين — وربما هذا صحيحا — أن الحلفاء الغربيين فى لندن ونيويورك يراقبون اذاعتنا بدقة ، ويلتقطون كل حرف يذاع منها • ماذا سيظن مركز مراقبة الاذاعات فى لندن ونيويورك ، عندما يسمعون فجأة أن اذاعتنا بدأت تذيع باللغة الانجليزية ؟

عشت أيضا لحظة مرعبة بعد بضعة أسابيع أثناء فترة اذاعتى ، جلست جلسة مريحة فى الاستديو ، ثم أضيئت « اللمبة الحمراء » فى نفس اللحظة التى ظهر فيها فأر صغير بجانب « الميكروفون » فبدأت الاذاعة : هنا صوت اللجنة الوطنية « ألمانيا الحرة » ، نظر الفأر الى باهتمام ، وكان على بعد ٤٠ سم منى وعلى ارتفاع فى نفس مستوى فمى ، ويمكنه أن يقفز فيه بين لحظة وأخرى .

جلس الفأر هادئا أثناء قراءتى نشرة الأخبار ، ثم حركت يدى ببطء نحو المفتاح الذى أستطيع بواسطته قطع الاتصال . وأخيرا انتهيت من الاذاعة ، لقد كنت على استعداد لقطع الاذاعة لو تحرك الفأر سنتيمترا واحدا .

انتهى البرنامج ، فصحت فى الفأر ، فجرى خارج الاستوديو ، فخاف منه الموجودون عند المهندسة الفنية ، وانزعجوا ، وحاولنا جميعا مشتركين طرد الفأر باحدى المقشات ، وفى غضون ذلك كان يذاع تحليل لأحد الجنرالات عن حرب « هتلر » اليائسة ، ومحاولتنا امساك الفأر كانت يائسة أيضا ، ولكننا تمكنا أخيرا من طرده خارج الاستوديو .

كان العمل فى الاذاعة لطيفا ، وله منافع من بعض النواحى : فقد كنت أستطيع فى الاذاعة ، فى فترات الراحة المتقطعة سماع الاذاعات الأجنبية ، ولم يكن هذا ميسورا فى الاتحاد السوفييتى الا لطبقة قليلة جدا من القياديين أعضاء الطبقة العليا فى الحزب ، لأن جميع أجهزة الراديو سحبت من جميع أفراد الشعب فى بداية الحرب .

كنت اذا انتهيت من الاذاعة ، اتجهت بسرعة البرق الى جهاز الراديو الذى أسمع فيه تلك الاذاعات الأجنبية . لم أهتم بالمحطات النازية ، فغالبا ما كنت أسمع اذاعة لندن . وبعد وقت قصير اكتشفت محطة للحلفاء ، والتزمت سماعها دائما « اذاعة الجنود الغربية » — وكان مقرها انجلترا — مزجت بطريقة لبقة جدا بين موسيقى الرقص والدعاية ضد « هتلر » ، وكنت مغرما بتعليقاتها التى كانت تذاع تحت عنوان : « هنا يتحدث زميل عن الموقف » وكنت أعتبر هذا البرنامج أنجح البرامج تأثيرا فى حرب الدعاية الاذاعية .

* * *

« أنتون آكارمان » وهيئة تحرير الاذاعـــة

كان رئيسى الجديد « أنتون آكارمان » شخصا آخر يختلف تمام الاختلاف عن « رودولف هيرن شتات » فهو دائما مبتسم ، ولطيف ، ولم يمض على عملى فى الاذاعة سوى وقت قصير ، حين دعانى للعمل معه فى هيئة التحرير •

« اذا أردت فتستطيع أن تشترك هنا فى جلسات هيئة التحرير فسوف تحصل منها على صورة كاملة • للعمل هنا ، وربما تستطيع بعد وقت قصير كتابة مقال أو تعليقا اذاعيا » •

كان العمل فى الاذاعة يختلف عن العمل فى الجريدة ، فهناك — فى الجريدة — قيادة « هيرن شتات » « الأوتوقراطية » ، وهنا — فى الاذاعة — العمل المشترك الصحيح •

لم يتصرف « أنتون آكارمان » — الذى كان رئيسا لهيئة التحرير ، وكان يكتب بنفسه التعليقات الاذاعية الهامة — بعجرفة الرؤساء ، ولكنه كان يملك من الصفات ، ما جعل له النفوذ الحقيقى ، اذ كان من المسلم به عند الجميع أن قدرته وامكانياته تفوق بكثير قدرة العاملين معه •

لم يتجاوز « آكارمان » آنذاك الأربعين من عمره ، فقد ولد فى عام ١٩٠٥ م فى « تالهايم » (ارتس جيبرجى) واشترك فى بادىء الأمر فى نشاط الشباب ، ثم انضم الى الحزب الشيوعى الألمـــانى فى عام ١٩٢٦ م وبعد هذا بوقت قصير اشتغل فى وحدة الحى (Plauen - Zwickau) ثم أرسل فى عام ١٩٢٨ م بسبب نشاطه الحيوى الى موسكو ليتزود من الثقافة السياسية •

انتخب فى أكتوبر سنة ١٩٣٥ م ، فيما يسمى بمؤتمر بروكسل ، عضوا فى اللجنة المركزية والمكتب السياسى • كان فى أسبانيا أثناء الحرب الأهلية ، ثم عاد الى الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٤٠ • وقع — مع غيره — على نداء الحزب الشيوعى الألمـــانى وعلى البيان الذى وجه الى الشعب الألمـــانى ، وعلى بيان تأسيس اللجنة الوطنية ، وتولى بعد التأسيس مباشرة رئاسة هيئة تحرير الاذاعة •

انضم « كورت فيشر » — الذى كان يكتب التعليقات العسكرية اليومية القصيرة — الى الحزب الشيوعى الألمـــانى فى شبابه ، وقضى معظم حياته فى الاتحاد السوفييتى • ليس عضوا فى زعامة الحزب

الرسمية ، ويظهر أنه لم يتصل لمدة سنوات عديدة بالحزب الشيوعى الألمانى الا قليلا • كذلك لم يسكن فى فندق « لوكس » أثناء عمله فى اللجنة الوطنية • تثقف ثقافة عسكرية فى الاتحاد السوفييتى ، وقيل انه تخرج من أكاديمية الجنرالات فى الجيش الأحمر ، وتولى مهمات خاصة ، فى الصين أيضا • ولم يكن صريحا فى تصرفاته ، وكان سهل الاثارة • كان يلاحظ أحيانا أنه متأثر بتأخره فى سلم المناصب ، وأنه تحت رئاسة « آكارمان » •

لو ملك « فيشر » السلطة فى يوم ما ، فلا أحب أن أكون تحت رئاسته ، هكذا فكرت آنذاك • وتحقق ظنى ، فقد أصبح « فيشر » بعد عام ١٩٤٥ وزيرا للداخلية فى مقاطعة « زاكسين » فلم يستخدم هذا المركز فى مطاردة المخالفين له فى الرأى مطاردة لا هوادة فيها فحسب ، بل أيضا لخدمة أهوائه الشخصية ، ولاقصاء أعدائه عداوة شخصية ، الذين كان وضعهم خطرا عليه •

كان « فريتس ارين بيك » يكتب معظم التعليقات الصغيرة على الموضوعات الأخرى ، وكان صحفيا موهوبا ، ظهر له فى الاتحاد السوفييتى قصة صغيرة من وحى الحرب العالمية الأولى بعنوان « •• ولكن لا أريد أن أكون جبانا » وكذلك القصة الطويلة « المؤسسون » •

اشتغل « ارين بيك » بعد عام ١٩٤٥ صحفيا حرا فى جرائد ومجلات مختلفة ، وأصبح فيما بعد رئيسا للقسم المركزى « الفن التشكيلى والموسيقى » فى وزارة الثقافة فى المنطقة الألمانية الواقعة تحت الاحتلال السوفييتى •

بينما انحصرت أعمال « فيشر » و « ارين بيك » فى الأعمال التحريرية ، فى « هيئة التحرير المدنية » عندنا ، تولى « ماكس كايلسون » — أصبح فيما بعد رئيسا لهيئة تحرير جريدة الاتحاد الاشتراكى الألمانى المعروفة باسم « الى الأمام » — و « جوستاف فون فانجن هايم » — أصبح بعد عام ١٩٤٥ م مدير المسرح الألمانى لسنوات عديدة — تنسيق الاتصال مع هيئة التحرير الاذاعية فى اللجنة الوطنية الرسمية فى « لينافو » •

وأخيرا كان عندنا فى هيئة تحرير الاذاعة أيضا « لورى بيك » بنت « فيلهيلم بيك » وكانت مكلفة فى بادىء الأمر بجمع المواد الاذاعية ثم انضمت فيما بعد الى هيئة التحرير •

كذلك « هانز مانى » وكانت مهمته تسجيل المواد الاذاعية التى تكتب فى « لينافو » بواسطة جهاز تسجيل صغير — على اسطوانات •

كان عندنا عربتان ماركة « جيب » صناعة أمريكية للتنقل بين اللجنة الوطنية فى « لينافو » وبين محطة الاذاعة فى (Schablowice)

فالمادة الاذاعية اليومية — الأخبار والتعليقات اليومية — كانت فى غالب الأحيان تجهز فى « هيئة التحرير المدنية » عندنا فى شارع « أوباخا » رقم ٣ • بينما البرامج الطويلة — بيانات ، نداءات ، تعليقات طويلة — كان يقوم باعدادها أعضاء من اللجنة الوطنية بالاشتراك مع أعضاء « رابطة الضباط الألمانيين » فى « لينافو » •

كان أسلوب العمل فى « لينافو » مختلفا ، فبعضهم كان يؤلف الموضوع استجابة لرغبة عنده ، والبعض الآخر كان يطلب منه الكتابة فى موضوع وقع الاختيار عليه بعد مناقشة فى مجموعتنا • بدا العمل الجماعى فى عمومه كما ظهر لى عن طريق عملنا المشترك بين « هيئة التحرير المدنية » فى الاذاعة وبين هيئة التحرير فى « لينافو » ومن المناقشة فى هيئة التحرير — مثمرا ، ففى ذلك الوقت من عام ١٩٤٣ م حتى عام ١٩٤٥ م اهتم كل المحررين وعلى رأسهم « آكارمان » نفسه اهتماما صادقا — لا ظاهريا فقط — بأن يسير العمل المشترك سيرا وديا •

لم يحدث الا فى حالات نادرة أن طلبت هيئة التحرير عندنا تغيير بعض التعليقات الاذاعية التى كان يكتبها جنرالات وضباط اللجنة الوطنية ، ولا أعرف من ذلك الوقت — ولا حالة واحدة — أن تمسكت هيئة التحرير عندنا بتغيير ما ، اذا رفض المؤلفون تغيير شىء مما كتبوه • وحدث هذا أيضا بالنسبة للحديث الدينى ، الذى كان يذاع كل يوم أحد بالتناوب بين واعظ الجيش الكاثوليكى القسيس « قيصر » والواعظ البروتستانتى « شروردر » ، وانضم اليهما فيما بعد اثنان آخران ، هما : من الجانب الكاثوليكى دكتور « لودفيج » ومن الجانب البروتستانتى رئيس مجلس الكنائس « د • كروم ماخر » •

ازداد عدد العاملين فى الاذاعة نتيجة لتقدم الجيوش السوفييتية ، ولزيادة عدد الضباط والجنرالات الذين كانوا يعلنون — كل يوم بدون انقطاع — انضمامهم للجنة الوطنية ، وكان من بين المساهمين فى اعداد المواد الاذاعية عندنا ، الجنرال دكتور « أوتو كورفس » والجنرال « مارتن لاتمان » والعميد « هانز جونتر فان هوفن » والرائد « اجبرت

فون فرانكينبرج وبروشليتس » والرائد « هاينريش هومان » والنقيب « فريتس روكر » والنقيب « فريدريش ريبر » والمجند دكتور « جونتر كيرتشنر » •

كان من الأمور المسلم بها عند « آكارمان » والمحررين الآخرين فى هيئة تحرير الاذاعة ، عدم دفع اخواننا الضباط فى « لينافو » الى مفاهيم وأفكار اللاجئين الألمانيين ، بك محاولة التعليم من أولئك الذين يعرفون النظام الهتلرى عن طريق تجاربهم الشخصية ، ثم جذبهم بطريقة مبسطة للنضال ضد « هتلر » •

ربما كان العمل المشترك أشد التصاقا ، وأحسن نتيجة ، لو كان عند « آكارمان » وأعضاء « هيئة التحرير المدنية » الحرية الكاملة فى اتخاذ القرار • فكما كانت مقالات الجريدة خاضعة لقلم الرقيب السوفييتى ، كذلك كانت كل المواد الاذاعية خاضعة لقلمه أيضا ، غير أن الرقابة لم تكن شديدة مثلما هى فى الاذاعة الرسمية لراديو موسكو ، أو فى « اذاعة الشعب الألمانى » — كانت فى ذلك الوقت اذاعة زعامة اللاجئين من الحزب الشيوعى الألمانى — التى يديرها ألمانيون ، تحت رئاسة المعهد رقم ٢٠٥ ، ولكنه على أى حال ، لم يجز لنا بث أى جملة عبر الأثير دون أن يطلع عليها الرقيب •

كان على المذيعين أن يقدموا كل الأعمال التى تأتى من هيئة التحرير الى الرقيب • وهكذا كنت آخذ النصوص كل يومين وأركب العربة « الجيب » الأمريكية الصنع ، وأذهب بها الى Glaw Purkka رئاسة الادارة السياسية فى الجيش الأحمر • وكان مقرها أثناء الحرب فى مبنى ضخم فى ميدان « أربات » • وهناك يقرأها العميد « براجينسكى » رئيس القسم السابع فى ذلك الوقت (يشرف هذا القسم على الدعاية بلغات دول المحور) ، وكان « براجينسكى » قبل الحرب أستاذا جامعيا للغات الشرقية ، ويتقن علاوة على ذلك كل لغات أوروبا الغربية • وكان أحد المثقفين ثقافة عالية من السوفييت الذين تعرفت عليهم • كان يتمتع بحاسية غير معقولة — مثل « ارنو جيرو » — فى العثور على المطلوب فيما يعرض عليه ، فكان يكتشف بسرعة النقاط المهمة وينتهى منها فى دقائق قليلة •

وفى الحالات النادرة التى كان يتغيب فيها العميد « براجينسكى » كان يقوم بعمله « فريدار روبينر » ، وهى شيوعية قديمة ، قامت فى

أوائل العشرينات (وان كانت لا تحب أن يذكرها أحد بذلك الآن) بترجمة كتب « تروتسكى » و « بوخارين » و « راديك » الى الألمانية ، وتعيش فى الاتحاد السوفييتى منذ زمن طويل جدا • كانت من الألمانيين القلائل الذين كانوا يعملون أثناء الحرب فى رئاسة الادارة السياسية فى الجيش الأحمر • ألفت المنشورات ، والنداءات ، والكتيبات الصغيرة التى اشتهرت بين أسرى الحرب آنذاك تحت عنوان « الحقيقة عن الاتحاد السوفييتى » ونشرت باسم (Pseudonym F. Lang)

كان من النادر أن يقترح العميد « براجينسكى » أو « فريدا روبينر » تعديلات فى النص ، فاذا كان الأمر يتعلق بالأحاديث التى كانت تكتب فى « هيئة التحرير المدنية » لم تكن هناك مشكلة ، فكنت أقرأها بتعديلات الرقيب عبر الأثير مباشرة ، وكان على الضد من ذلك تلك التغييرات التى كانت تدخل على التعليقات التى كتبها الجنرالات والضباط فى « لينافو » اذ كان لابد من تسجيلها أولا •

عثرنا على طريقة يمكن أن تكون الأولى من نوعها فى تاريخ الاذاعة الحديثة : نأتى الى محطة الاذاعة ، ونجرى تجربة تشغيل الاسطوانة ، حتى تصل الى النقطة المشطوبة ، فتقوم مهندسة الصوت بحكها بشىء مدبب حتى تصل الى درجة تصدر فيها أصواتا غريبة ، فتطمس معالم الكلمة المشطوبة من الرقيب ، فلايسمعها المستمعون بوضوح •

ثم طورنا فيما بعد « طريقتنا الهندسية » ، اذ تلاحظ مهندسة الصوت الموضع المشطوب ، ثم تعطينى اشارة أثناء الاذاعة ، فأقطع الاتصال عدة لحظات الى أن تمر الكلمة أو الجملة دون اذاعتها عبر الأثير ، ومما لاشك فيه أن السامع يعتقد أنه تشويش أو انقطاع طارىء فى الارسال •

كانت اذاعتنا أكثر بدائية من كل الاذاعات التى كانت موجودة آنذاك ، فهى عبارة عن جهاز تسجيل ، وعدد بسيط من الاسطوانات • وكان هذا — بجانب الاستوديو — كل ما نملكه • ورغم هذا فقد نجحت فى أن تكون أهم وأكثر حيوية من الاذاعة الرسمية فى موسكو ، واقتربت فى بعض النواحى من اذاعات الحلفاء الغربيين • كل ذلك بفضل قيادة « آكارمان » وقدرته على أن يسود التعاون الجماعى فى محيط العمل ، وأن يحافظ على التعاون مع أعضاء « هيئة التحرير الاذاعية » فى « لينافو » •

اعتقدت آنذاك أن العمل الجماعى مع زملائنا الجدد فى اللجنة الوطنية لن يستمر بعد هزيمة « هتلر » فحسب ، بل سيقوى أيضا ويشتد ولكن لم يكن أملى هذا سوى تصورات خيالية ، كتلك التصورات الكثيرة التى طافت بخيالى فى عام ١٩٤٤ م .

* * *

آمـــال أعضـــاء منظمة الشباب

نشأت صداقة جديدة بينى وبين بعض نزلاء فندق « لوكس » ، وبجانب هذا ، عاودت الاتصال مرة أخرى أيضا مع أعضـــاء منظمة الشباب فى موسكو . قابلت فى موسكو « جان فوجلر » وكان يسكن فى (Dom Prawitelstwa) « منزل الحكومة » ، وهو منزل ضخم على ضفة نهر موسكو . كان يجتمع عند « جان » أعضاء من منظمة الشباب من الروسيين والأجانب وكان معظمهم من الطلبة الذين يهتمون بالأدب والفلســفة والســياسة ، ومن بينهم أيضا طلبة فى المعهد المشهور (I.F L.I.) « معهد الفلسفة والأدب والتاريخ » وهو معهد عال ، يتمنى كل شاب سوفييتى الدراسة فيه ، ولكن لا يقبل فيه الا من يجتاز امتحانا صعبا جدا .

وكان يزور « جان » أحيانا طلبة من كليات الحقوق والتربية ، أو أعضاء من منظمة الشباب ، الذين تثقفوا لمهمات خاصة (مثلا : كمحاربين فى قوات حرب العصابات) .

استمرت مناقشاتنا أحيانا طول الليل ، وكانت على جانب كبير من الأهمية . تمنينا آنذاك ــ كلنا بلا استثناء ــ أن يقوم « شىء جديد » فى غرب أوروبا بعد الانتصار على الفاشية ، أى تغيير جذرى فى المجتمع . اعتقدنا فى قيام نهضة كبيرة ، فى ولادة جديدة ــ كان بعضنا يستعمل كلمة (Re$_{m}$aissance) (١) ــ ، فى تكوين حركات اشتراكية جديدة ، وفى قيام دول اشتراكية جديدة ، على أن تكون فى كثير من النواحى « شيئا آخر » مختلفا عن الاتحاد السوفييتى . غير أن التعبير عن النقطة الأخيرة كان بأسلوب ملتو .

---

(١) اصطلاح لعصر النهضة العلمية فى أوروبا . م . شامة .

بعدما أعلن فى أوائل أغسطس عام ١٩٤٣ م عن انتصار الجيش الأحمر عند « كورسك » و « أوريل » باطلاق طلقات مدافع الاحتفالات النرسمية ، والصواريخ المضيئة ، أصبح من المعتاد الاعلان عن انتصار الجيش الأحمر باطلاق المدافع والصواريخ المضيئة • وعند الانتصار فى موقعة كبيرة يخرج الآلاف الى الشوارع يهللون ويصيحون ، وكلهم أمل فى أن الخطر الكبير سيزول سريعا • وسرعان ما تعود الناس على هذا ، ورأوا أن ذلك علامة على أن الحرب فى طورها الأخير •

وفى أوائل أبريل سنة ١٩٤٤ م وصلت القوات الروسية الى نهر (Prutli) ووصلت بذلك الى الحدود السوفييتية ، وعلى الرغم من أن ذلك كان فى نقطة واحدة ، ولا تزال أجزاء كبيرة من أراضى الاتحاد السوفييتى محتلة ، فقد كانت الفرحة كبيرة جدا •

وعندما عبرت القوات الروسية الحدود بين الاتحد السوفييتى ورومانيا ، نشرت « برافدا » بيانا ، جاء فيه : انه ليس من أهداف الاتحاد السوفييتى « ضم جزء من الأراضى الرومانية ، أو تغيير النظام الاجتماعى القائم فى رومانيا » • فتقدم القوات السوفييتية فى رومانيا لا تمليه الا « الضرورة العسكرية — والمقاومة المستمرة من العدو » •

حدث نقاش كبير بيننا نحن أعضاء منظمة الشباب ، كيف ستتطور المسألة ؟ ، فرومانيا مملكة ، ونظام الحكم فيها رأسمالى ، وفيها كبار ملاك الأراضى الزراعية والآن يذيع الجيش السوفييتى بيانا ، يؤكد فيه أن هدفه ليس « تغيير نظام المجتمع الرومانى الحالى » •

انقسمت الآراء ، فقال واحد :

« ليس هذا سوى بيان شكلى ، فبعد سيطرة الجيش الأحمر ، سيتغير كل شىء ، ولا ينبغى أن يفهم البيان حرفيا » •

فعارضه آخر :

« لا •• بل ينبغى أن يفهم البيان حرفيا ، لقد قيل عند حل جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية ، أن ظروف النضال يجب أن تتشكل طبقا لظروف كل بلد • فلو لم يرد الفلاحون والعمال الرومانيون أنفسهم ذلك ، فسوف يظل النظام القديم » •

كان الموقف على الجبهة هو الموضوع الرئيسى للحديث فى السنتين الأوليين للحرب ولكنه تغير بعد تقدم الجيش الأحمر ، اذ تحول الحديث

عند أولئك الذين يهتمون بالتغييرات السياسية الى المناقشة حول ما سيحدث من تغييرات سياسية بعد الحرب •

وتطرق الحديث أيضا آنذاك الى الوضع فى الصين ، فقد قابلت ذات مساء مع مجموعة من أعضاء منظمة الشباب فتاة صينية ، تبلغ من العمر ٢٠ عاما تقريبا • كانت تحكى عن الحياة فى (Jenan) عاصمة قوات حرب العصابات فى ذلك الوقت ، حيث عاشت هى فيها وقتا طويلا •

همس فى أذنى أحد الرفقاء :

« يقال انها بنت « شواين لاى » •

وفى غضون ذلك قصت علينا كيف يستطيع كل واحد أن يتحدث بحرية مع « ماو تسى تونج » ومع « شو — دى » ، وكيف يلبسون ملابس رسمية بسيطة ويروحون ويجيئون دون أى مواكب حولهما ، ويلعبون الألعاب الرياضية ، مع اخوانهم أفراد قوات حرب العصابات •

« ففى وقت الفراغ نلعب فى غالب الأحيان لعبة الكرة الطائرة ، وهى لعبة معروفة أيضا فى الاتحاد السوفييتى ، فاذا كان عند « ماوتسى تونج » و « شو — دى » وقتا يلعبان معنا ، فأخلاقهما طيبة » •

لم يظهر أحد أى انفعال من هذا الكلام ، ولكنهم كلهم حاولوا بينهم وبين أنفسهم اجراء مقارنة بين الزعماء السوفييت والزعماء الصينيين ، وتخيلوا كيف يبدو الأمر ، لو لعب « ستالين » أو « مولوتوف » لعبة الكرة الطائرة مع جندى بسيط • أعجبتنا طريقتهم ، ودارت بذهنى دون ارادة منى ، خواطر بأن الحياة فى عاصمة قوات حرب العصابات ، لابد أن تكون — رغم الأخطار — أجمل وأكثر حرية ، وأقرب الى طبيعة الانسان منها فى موسكو •

وللأسف اضطرت الفتاة الصينية الى توديعنا ، ولم أرها ثانية منذ ذلك الحين ، ربما رجعت آنذاك الى الصين •

ولكن •• هل تتغير الحياة أيضا فى الاتحاد السوفييتى بعد الحرب ؟ عاودنا النقاش المرة تلو المرة حول هذا السؤال • وقويت هذه الآمال عندما سمعت ذلك فى خريف عام ١٩٤١ م فى سينما (Udarnik) بدا فى الأفق أن النظام سيخلخل بعض الشىء ، ويخفف من قبضته ، فقد أفرج أثناء الحرب عن الجنرالات والضباط المعتقلين والمنفيين فى معسكرات العمل ، وحصل جزء كبير منهم على معاشات ضخمة • وفى الأحاديث

العادية اختفى الدفاع الأعمى عن فترة أعوام « التطهير » وخفت الرقابة على الفن والأدب •

وعرض فى ذلك الوقت فيلم سوفييتى ، يحتوى على أفكار هامة جدا ، ففى احدى لقطاته ، يعرض المخرج حديثا بين شخص لا ينتمى للحزب ، وقيادى فى الحزب السوفييتى ، ويدور الحديث بينهما حول فظاعة الحرب ، فيقول الشخص الآخر : « كم يكون جميلا ، لو عدنا سريعا الى أحوال ما قبل الحرب » !

فيرد عليه القيادى :

« نعم •• ولكن من المؤكد أننا لن نعود ببساطة الى هذا الوضع ، فقد أدركنا أننا كنا قاسين جدا قبل الحرب » •

عندما رأيت هذا الفيلم — للأسف نسيت اسمه — لاحظت بسرعة ، كيف كان انطباع هذا المشهد قويا عند المشاهدين ! والظاهرة المفاجئة الأخرى ، كانت فى كثرة عرض الأفلام الأجنبية ، التى استطعنا مشاهدتها فى ذلك الوقت فى موسكو ، ومن بينها : « لص بغداد » والفيلم الأمريكى « وادى العشاق » وكذلك الأفلام الأمريكية التى تعرض صورة الحياة فى الاتحاد السوفييتى مثل : « بعثة الى موسكو » و « نجم الشمال » الذى يصور الحياة فى مزرعة جماعية سوفييتية • والفيلم الوثائقى « الحملة العسكرية فى روسيا » وقد أعده أحد مراكز الدعاية العسكرية الأمريكية • أعد هذا الفيلم من مجموعة لقطات من أفلام سوفييتية ، ولكن الأمريكيين جمعوا المـادة المصورة طويلة النفس واختصروها ، فسارت حوادث الفيلم بسرعة كبيرة ومثيرة (أى ليس فيها الطول الممل) ، لدرجة اننا مولعين به •

أما فيلم « بعثة الى موسكو » وفيلم « نجم الشمال » ، فكان على الضد من ذلك ، فقد تخللهما مشاهد كثيرة مضحكة ، وقد اعترف الموالون للحزب وللستالينية ! أنفسهم بأن الحياة فى المزارع الجماعية ليست جميلة ، فهى بالضبط كما صورها الفيلم الأمريكى • فرؤية الأفلام الأجنبية ، وبيع المجلات الأمريكية والبريطانية — التى تصدر باللغة الروسية — فى الشوارع علنا ، كان علامة لنا على أن أشياء كثيرة تتغير ، وأن الحياة فى الاتحاد السوفييتى ستكون بعد الحرب أكثر حرية • ثم جاءت أخبار هبوط قوات الحلفاء الغربيين فى فرنسا فى أوائل يونيو ١٩٤٤ م • لم يكن عندى اذاعة فى هذا اليوم ، وكنت فى المعهد رقم ٢٠٥

فرأيت هرجا ومرجا وصيحات الفرح تتشابك ، وفتحت — فى كل مكان — أجهزة الراديو على الاذاعات الغربية ، وكان كثير من أبواب الحجرات مفتوحة ، بحيث أمكن لمن فى الممر أن يسمع آخر الأنباء عن نجاح قوات الحلفاء فى فرنسا . ونشرت « برافدا » تقريرات مفصلة عن هذا النجاح . ومن النادر جدا أن تكون للأحداث التى تقع خارج الاتحاد السوفييتى مثل هذا الصدى الذى حدث فى ذلك اليوم .

وعندما خرجت من المعهد رقم ٢٠٥ كان هبوط قوات الحلفاء فى فرنسا هو الموضوع الرئيسى للحديث ، وتلقى الضباط الأمريكيون والبريطانيون الذين كانوا فى موسكو آنذاك تهانى الشعب فى الشوارع ، وأمكن فى هذا اليوم رؤية « شعار النصر » المشهور الذى اشتهر به « تشرشل » فى الغرب .

نشرت « برافدا » بعد يومين حديثا مع « ستالين » حيث وصف نزول قوات الحلفاء فى فرنسا بأنه « نجاح ساحق لحلفائنا » وقال : « يجب الاعتراف ، بأنه لا يعرف فى تاريخ الحرب انجازات تساوى هذا التخطيط الدقيق ، وتلك المقاييس الرائعة ، والتنفيذ البطولى » . امتلأت الجرائد السوفييتية فى تلك الأيام بأساليب مدح الحلفاء الغربيين ، ونشرت الصحافة السوفييتية فى ١١ يونيو ١٩٤٤ م وثيقة لم تذكر مرة أخرى منذ ذلك التاريخ : بيان بالأسلحة التى أرسلت من البلاد الغربية الى الاتحاد السوفييتى من أول اكتوبر سنة ١٩٤١ م حتى ٣٠ ابريل ١٩٤٤ م ، قرأنا مندهشين ما أرسلته أمريكا وحدها الى الاتحاد السوفييتى ، فمن بين ما أرسلته : ٦٤٣٠ طائرة و ٣٧٣٤ دبابة ، و ٨٢ طرادا حربيا ، وغواصة صغيرة ، و ٢٠٦٧٧١ عربة ، ٢٢٫٤ مليون طلقة ، و ٨٧٩٠٠ طن ديناميت ، و ٢٤٥٠٠ جهاز تليفون ، و ٥٫٥ مليون حذاء للجنود ، وأكثر من ٢٫٢ مليون طن مواد غذائية .

كان هذا بعض ما تلقاه الاتحاد السوفييتى من أمريكا وانجلترا وكندا . وسمعنا فى كل مكان أن العلاقة مع الحلفاء قد توطدت بعد نشر هذه الوثيقة ، وبعد تكوين الجبهة الثانية ، وأن التعاون بعد سقوط « هتلر » بات مؤكدا .

فقرب انتهاء الحرب ، وبيان الحكومة بأن الجيش الأحمر لا يبغى من وراء توغله فى البلاد الأخرى تغيير النظام الداخلى لتلك البلاد ، وهبوط قوات الحلفاء فى غرب أوروبا وحديث « ستالين » عن هبوطها ،

وتشر حجم المساعدات المـادية التى قدمتها البلاد الغربية ، وظهور المجلات الأمريكية والبريطانية باللغة الروسية ، وعرض الأفلام الأجنبية ، وتخفيف الرقابة على المصنفات والمطبوعات ، والموقف الجـديد ازاء حوادث « التطهير » من سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٨ م ، والعفو عن بعض الذين اتهموا سابقا بأنهم « أعداء الشعب » .. كل ذلك بعث موجات من الأمل فى دوائر واسعة بين الشعب السوفييتى . كان أملا بأن الوضع سيصبح بعد الحرب الفظيعة « مغايرا » بطريقة ما ، لمـا كان عليه قبل الحرب .

* * *

موسكو ويوم ٢٠ يوليو ١٩٤٤

كنت خارجا من الاستديو بعد الانتهاء من الاذاعة ، عندما دق جرس التليفون . كان « كورت فيشر » على الجانب الآخر منه سمعته يصيح فى التليفون مضطربا :

« لقد وصلت الأخبار توا عن اغتيال « هتلر » جهز نفسك حتى غد بعد الظهر لتغيير جذرى فى الاذاعة ، فسوف تنهال المقالات » .

اغتيال « هتلر » !

أردت أن أسأله عن أشياء ، ولكنه وضع السماعة .

لم تثرنى أخبار اندلاع الحرب فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٤٢ م بقدر ما أثارنى هذا النبأ . أخيرا ! هكذا قلت لنفسى : والآن ! اندلع النضال علنا فى ألمـانيا نفسها ضد « هتلر » فسوف تنتهى الحرب ، وستظل ألمـانيا بعيدة عن الاحتلال الأجنبى ، اذن ، كان الهدف الذى رسمته اللجنة الوطنية لنفسها صحيحا ، ولم يكن الحق فى جانب أولئك الأشخاص فى الاتحاد السوفييتى ، الذين يشبهون النازى فى ألمـانيا بـ« ايرين بورج » . حتى مهندسة الصوت التى لا تهتم بالسياسة عموما ، كانت مضطربة فى ذلك اليوم ، واستخلصت من الأخبار شيئا واحدا : ستنتهى الحرب الآن ! وستصبح الحياة جميلة !

ضبطنا أجهزة الراديو عندنا ، لنسمع الأخبار من جميع أنحاء العالم . غاب عنى شىء واحد فى ذلك الوقت ، اذ لم أعلم عن فشل محاولة الاغتيال .

وفى غضون ذلك اجتمع أعضاء هيئة التحرير ، وبعد ساعة واحدة — وهذا يعتبر بالنسبة للاتحاد السوفييتى سرعة غير معقولة — وصلت التعليقات الأولى الى استديو الاذاعة .

لا زلت أذكر بنوع خاص مقالا ممتازا كتبه « فريتس اربن بيك » ، حيث حلل فيه بطريقة واقعية رائعة ضرورة العمل الموحد لكل المناهضين لـ« هتلر » .

ناشد المقال الديمقراطيين الاشتراكيين والشيوعيين أن يطرحوا جانبا كل تردد ازاء الجنرالات البروسيين ، ويتفقوا معهم على العمل المشترك ، حيث يؤكد الجنرالات أنهم لن يهملوا تلك القوى التى هى على استعداد لمساعدتهم فى كفاحهم .

لقد كانت أكثر الأيام والساعات اثارة فى حياة اللجنة الوطنية . وغنى عن البيان أن الكل تمنى من القلب نجاحا لأولئك الرجال الذين أقدموا على محاولة اغتيال « هتلر » فى ٢٠ يوليو . ربما ادركنا بوضوح أكثر مما كان يدركه أعداء « هتلر » فى ألمانيا ، أن اطاحة نظام « هتلر » بواسطة القوى الألمانية ، سيتيح الفرصة للمحافظة على ألمانيا موحدة مستقلة .

نشرت الصحافة السوفييتية أيضا أخبار ٢٠ يوليو بالتفصيل ، غير أن الاسهاب فى نشر هذه الأخبار أدى الى استغراق الناس فى موسكو فى آمال مبالغ فيها .

كان عندنا بطريق الصدفة فى مساء ذلك اليوم — بعد نشر حوادث ٢٠ يوليو — اجتماع لأعضاء منظمة الشباب ، فقد تقرر أن يبحث فى هذا الاجتماع طلب قبول « عضو » جديد فى المنظمة ، وكما هو الوضع فى مثل هذه الأحوال فقد وجهت أسئلة الى مقدمة الطلب ، للتأكد من أن معلوماتها السياسية تؤهلها للانضمام الى المنظمة ، تلجلجت فى الاجابة على الأسئلة العامة ، وفجأة ألقى أحد المتحنين هذا السؤال :

« ماذا تعلمين عن الحوادث السياسية الأخيرة فى ألمانيا » ؟

فانطلقت تحكى بحماس ملخصا لما نشرته « برافدا » عن حوادث ٢٠ يوليو . وأعادت مرارا تلك الأنباء التى نشرتها « برافدا » على أنها « توقعات الدوائر الأجنبية » ، فأخذتها على أنها حقائق ثابتة :

« استولى المناهضون لـ الحكومة والجنرالات المعارضون على السلطة .

فى ألمـانيا ، وستعقد فى القريب العاجل محادثات سلام بين الحكومة الجديدة والحلفاء المناهضين لـ« هتلر » .

كانت الأمنية عندها — كما كانت عند كثير من الناس فى موسكو — تحتل المركز الأول فى التفكير .

ظهرت الحقيقة فى اليوم التالى ، على الأقل بقدر ما استطاع المرء أن يعلمه آنذاك ، فعندما أعلن أن محاولة اغتيال « هتلر » فشلت ، وقبض على المدبرين والمشتركين فيها ، وأعدموا رميا بالرصاص ، كانت خيبة الأمل كبيرة جدا .

لم يذكر شىء عن مؤامرة ٢٠ يوليو فى الصحافة السوفييتية ، بعد اعلان فشلها ، وعلى الضد من ذلك كان الوضع فى الاذاعة وفى جريدة « ألمـانيا الحرة » ، فقد تناول المحللون وكتاب التعليقات تلك المحاولة بالشرح والتحليل .

وصفت تلك التحليلات والتعليقات ، أعضاء مؤامرة ٢٠ يوليو بأنهم نموذج للشجاعة والاصرار ، والعزم فى التنفيذ ، وأحاطتهم بهالة من المديح والثناء . وانحصرت ملاحظات النقد آنذاك على الاشارة بأن رجال ٢٠ يوليو غفلوا عن اقامة « اتصال متين مع عدد كبير من قادة الوحدات الذين كان فى امكانهم المساعدة فى الاطاحة بـ« هتلر » ، وكان يمكن أن يوضع الثقل على الجيش الاحتياطى ، أما بالنسبة لقوات الجبهة ، فكان ينبغى على المرء أن يكتفى — بطريقة حـذرة — بسبر غـور الآراء والاتجاهات بين قادة الوحدات الكبيرة . كان السبب فى تردد وحدات الجبهة راجعا الى أنه كان هناك خلاف ، أو عدم وضوح حول كيفية انهاء الحرب . فكان ينبغى ألا تجر قوات الجبهة الى الانزلاق فى تلك الأعمال السرية ، حتى يحتفظ بها كوسيلة ضغط فى محادثات السلام المزمع اجراؤها لو نجحت عملية الاطاحة بـ« هتلر » .

اذا نظرنا الى المـاضى تبين لنا — هكذا عبرت اللجنة الوطنية — أسباب اخفاق هذا « التكتيك » ، فلو كان هناك اتصال مع عدد كبير من قادة الوحدات الذين كان فى امكانهم المساعدة فى الاطاحة بـ« هتلر » ، لأمكنهم فى حالة اخفاق محاولة اغتيال « هتلر » فى ٢٠ يوليو السيطرة على القيادة العليـا . وكان هناك بالاضافة الى ذلك خطأ آخر : وهو الاقتصار فى الاتصال بالجمـاهير على « أصحاب المراكز العليـا فى الادارة والتجارة وصناعة التجهيزات النهائية » ، لأنه لا يتصور نجاح

مؤكد دون اسهام جماهير العمال — على الأقل المجموعات الكبرى منها — والمستخدمين ، والمستحكمين فى صناعة وتجهيز المواد الأولية ، وفى عمليات الشحن والنقل .

هكذا كان الحكم على حركة ٢٠ يوليو آنذاك فى موسكو . ثم أصبح عكس ذلك بعد عشر سنوات ، ففى يوليو سنة ١٩٥٤ هاجمت صحافة المنطقة الألمانية الواقعة تحت الاحتلال السوفييتى الرجال الذين قاموا بحركة ٢٠ يوليو وصبت عليهم اللعنات ، اذ ادعت مجلة الاتحاد الاشتراكى الألمانى المعروفة باسم « الوحدة » أن الذين قاموا بحركة ٢٠ يوليو ، أرادوا انقاذ ما تبقى من العسكرية الألمانية والاستعمار الألمانى ، وكان « حلفاؤهم آنذاك دوائر الاستعمار الأمريكى الرجعية » ، وكان هدفهم « أن يتمكن رأس المال الألمانى الرجعى المحتكر مع الجنرالات الرجعية من التحالف مع القوى الرجعية للاستعمار الأمريكى والانجليزى ، ويتكاتفوا فى شن حرب ضد الاتحاد السوفييتى ، القوة الأولى للعمال والفلاحين » .

وكتبت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى الألمانى فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٤ م أن الرجال الذين قاموا بحركة ٢٠ يوليو ، لم يكونوا — دون استثناء — ضد الفاشية ، فقد كانوا من لحم ودم الاستعمار الألمانى ، ولا تنفى محاولتهم القيام بمؤامرة ٢٠ يوليو ، واظهار أنفسهم بذلك أنهم مناضلون ضد الفاشية ، لا تنفى هذه المحاولة أن أهدافهم — آنذاك واليوم — كانت — ولا تزال — ضد الشعب ، وضد الأمة .

وهكذا تغير تقدير موسكو لحركة ٢٠ يوليو .

* * *

غزو الجنرالات

لم تكن حوادث يوليو هى الحوادث الوحيدة التى توقفت لها أنفاسنا ، فقد فتح نزول قوات الحلفاء فى فرنسا فى يونيو ثغرة كبيرة فى الجبهة الغربية ، وتقدم الحلفاء جنوبا فى ايطاليا . وفى أوائل يوليو سنة ١٩٤٤ بدأ الهجوم السوفييتى الكبير ، الذى قضى على الجبهة الألمانية الوسطى قضاء تاما بعد أسابيع قليلة ، وفتحت ثغرات واسعة .

ثم حدث فى ٨ يوليو سنة ١٩٤٤ ما لم يحدث مثله من قبل ، فقد

سمعنا أن « فينسينس ميللر » — نائب قائد الجيش الثانى عشر فى الجبهة الوسطى — قبل انذار الجيش الأحمر ، فأصدر من نفسه أمرا ألغى قواته المحاصرة عند « منسك » بالتسليم :

« ازداد موقفنا سوءا بعد قتال مرير مدة أسابيع طويلة ، أوقفوا اراقة الدماء التى لا أمل من ورائها ! ولهذا آمركم أن توقفوا القتال فورا ! وستجمع المجموعات المتفرقة — ويبلغ عدد أفراد الواحدة مائة أو أكثر — التى يقودها ضباط أو مساعدو الضباط المتقدمين فى السن ، أما الجرحى ، فسيجمعون من الميدان بعد ذلك » .

نشر هذا الأمر فى جريدة « ألمانيا الحرة » وأذيع فى الاذاعة ، وكان الجو عندنا كما كان فى « لينافو » مشحونا بالعواطف الثائرة ، وقال الجنرال « فون زيدليتس » فى بيان له :

« كان الجنرال « ميللر » أول جنرال ألمانى يتصرف بوعى ضد أوامر « هتلر » الواضحة الصارمة ، فأنقذ بذلك حياة آلاف الجنود الألمانيين ، ليعمروا ألمانيا مستقبلا ، تحيى هذا العمل الوطنى الصادق من هذا الجنرال الألمانى .

ثم علمت فيما بعد من مسئول عن الجبهة فى اللجنة الوطنية أننا — وكذلك الجنرال « زيدليتس » — تلقينا معلومات خاطئة عن هذا الموضوع :

« كانت أخبار الاستسلام ، وأمر الجنرال « فينسينس ميللر » بالاستسلام مختلفة ، فقد وقع الجنرال « ميللر » — ككل الجنرالات الأخرى — فى الأسر ، وكتب أمر التسليم المشهور بعد وقوعه فى الأسر ، فأخذه الروسيون ونشروه وسط الاضطراب ، الذى كان يسود القوات المحاصرة .

« ولكن ! هل كان الجنرال « فينسينس ميللر » موافقا على هذا ؟ طبعا ! فقد كانت فرصة سياسية كبيرة له ! اغتنمها بسرعة ، فبعد أن رأى ، كيف ارتفع بذلك فى الاعتبار والتقدير ، حاول اقناع الجنرالات الآخرين ، بأن يكتبوا نداءات ضد « هتلر » فاستمالهم ، وحولهم بسرعة ، لدرجة أن المناهضين للفاشية أنفسهم اندهشوا من ذلك . وفى أكتوبر سنة ١٩٤٤ م اعترف بذنبه أمام قسيس الجيش ، وفى نوفمبر طلب الالتحاق بدورة دراسية تهيىء دارسيها لمناوأة الفاشية . وعندما عاد

فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ م « كان قد صار لينينيا » متعصبا لـ« لينينية » •

وضع « فينسينس ميللر » نفسه فى خدمة الاتحاد السوفييتى ، دون تردد أو تلكؤ ، وكان يخالف فى تصرفه كثيرا من الجنرالات الآخرين ، الذين وقعوا فى صراع داخلى مدة طويلة ؛ ولكنهم كانوا أكثر صدقا عندما قرروا الانضمام الى حركة « ألمانيا الحرة » (ولكن ليس بحال من الأحوال كـ« دمى » فى أيدى الروسيين) •

لم يغب عن البال سرعته فى التغيير الى الجانب الآخر ، ودفاعه عن مبادىء « لينين » فقد كوفىء بعد رجوعه (فى خريف عام ١٩٤٨ م) بمنصب نائب رئيس الحزب الديمقراطى الوطنى ؛ وبرتبة جنرال فى الشرطة •

دفعت حوادث ٢٠ يوليو — من اعدام رميا بالرصاص ، ورعب وفزع — بعض الجنرالات والضباط — الذين تصرفوا حتى ذلك الحين ازاء اللجنة الوطنية تصرف الرافض أو المحايد — الى الخروج من الموقف السلبى الى المساهمة الايجابية فى النضال ضد « هتلر » ، وطفح الكيل عند كثيرين آخرين بعد حوادث ٢٠ يوليو ، وخاصة عند الجنرالات الألمانيين الذين كانوا أسرى حرب فى الاتحاد السوفييتى ، عندما سمعوا أن أصدقائهم ، ومعارفهم أدينوا فى تلك الأحداث •

وعندما انهارت الجبهة الوسطى الألمانية فى يوليو سنة ١٩٤٤ م ، وقع على مدى أسبوعين أو ثلاثة ٢٠ جنرالا أسرى فى يد القوات السوفييتية ؛ فوقع ١٧ منهم فى ٢٠ يوليو على بيان موجه الى الجيش الألمانى فى الجبهة الشرقية •

وفى نهاية يوليو تحدث الناس فى فندق « لوكس » أن المارشال « بولس » سوف « يسير مع الركب » • ثم تلقيت أخيرا فى ٨ أغسطس سنة ١٩٤٤ م — أى فى نفس اليوم الذى أعدم فيه المارشال « فون فيتسليبين » فى برلين — فى استديو الاذاعة بيانا من « بولس » • لفت نظرى أن التاريخ النهائى لبيانه قد كتب — على ما يبدو — فى الدقائق الأخيرة • فقد كان التاريخ (أغسطس ١٩٤٤ م) مكتوبا على الآلة الكاتبة ، والتاريخ (٨ أغسطس) ألحق به فيما بعد بخط يد « بولس » • استطعت فى هذا المساء تسجيل بيان « بولس » — مثل

خطب الجنرالات والضباط الذين يجلسون فى « لينافو » — والتقديم له :
« اسمعوا .. اسمعوا .. هنا يتحدث المارشال « بولس »..
القائد العام السابق للجيش السادس . اسمعوا المارشال « بولس » .
كان بيانا قصيرا ، وهذا نصه :

« لقد قاتل الجيش السادس تحت قيادتى عند « ستالينجراد » طبقا لأوامر « آدولف هتلر » قتالا مريرا ، آملا أن يتمكن بواسطة التضحية التى يقدمها فى الميدان من الحيلولة دون سير الحرب فى طريق تكون نهايتها سيئة بالنسبة لألمانيا ، ولكن لم يتحقق هذا الأمل .

فقد أظهرت الأحداث فى الوقت الأخير أن استمرار الحرب سيكلف ألمانيا ضحايا لا فائدة من ورائها . فالجيش الأحمر يتقدم فى الجبهة على خط عريض ، ووصل الى حدود الامبراطورية فى روسيا الشرقية . وفى الغرب اخترق الأمريكيون والانجليز خط الدفاع الألمانى فى الجناح الغربى ، ويتقدمون فى الأراضى الفرنسية المفتوحة . ولا تدفع ألمانيا بقوات احتياطية ، — لا فى الشرق ، ولا فى الغرب — تستطيع السيطرة على الموقف . وتفوق العدو فى الجو وفى البحر يضغط بقوة ، لدرجة أن الموقف أصبح ميئوسا منه . لقد خسرت ألمانيا الحرب .

لقد انزلقت ألمانيا الى هذا الموقف — رغم بطولة قواتها المسلحة وشجاعة الشعب كله — بتصرف رئيس الدولة ، والقائد الأعلى للقوات المسلحة « آدولف هتلر » .

« ويضاف الى هذا أن أسلوب تصرف بعض المكلفين فى المناطق المحتلة ضد السكان المدنيين ، ملأ بالاشمئزاز نفس كل جندى مخلص ، وكل ألمانى أصيل ، وجر علينا التوبيخ من العالم كله . فاذا لم يتبرأ الشعب الألمانى نفسه من هذه الأعمال . فسوف يتحمل مسئوليتها كاملة .

« وازاء هذه الظروف رأيت أن من واجبى أن أعلن أمام زملائى أسرى الحرب وأمام الشعب الألمانى :

« يجب أن تتخلص ألمانيا من « آدولف هتلر » وتسلم نفسها لزعامة جديدة تنهى الحرب ، وتخلق جوا ، يمكن شعبنا من الاستمرار فى الحياة ، وتقيم مع أعدائنا الحاليين علاقة سلام ، لا .. بل علاقة صداقة » .

كنت لا زلت متأثرا بهذا البيان عندما جلست فى اليوم التالى فى مطعم فندق « لوكس » كان من المستبعد جدا قبل عام أن أتصور أن القائد الأعلى فى معركة « ستالينجراد » سيقرر توجيه بيان ضد « هتلر » ومن الطبيعى أن بيان « بولس » كان الموضوع الرئيسى للحديث فى فندق « لوكس » ، ولكن سرعان ما خمد اعجابى بهذا البيان • كانت النغمة الرئيسية للحديث الذى دار فى هذا اليوم فى فندق « لوكس » : لقد انتظر « بولس » وقتا طويلا ، الى أن قرر توجيه بيانه • وعلى كل فنحن الآن فى أغسطس سنة ١٩٤٤ م ، ويمكن فى غضون أسابيع أن يصل الجيش الأحمر الى الحدود الألمانية •

كان نزول قوات الحلفاء فى غرب أوروبا ، وانهيار الجبهة الوسطى الألمانية ، وبيان « بولس » من الأحداث المثيرة التى تلتها تطورات كبيرة •

فقد تقدم الهجوم السوفييتى فى خريف عام ١٩٤٤ م الى الأمام دون توقف ، واستمر وقوع جنرالات جدد فى الأسر ، ولم يحتاجوا الى وقت طويل — بخلال من وقع فى الأسر قبل ذلك — لتحويلهم سياسيا : فقد أدرك معظمهم وضع ألمانيا الهتلرية اليائس ، فوقع بعد أيام قليلة من وقوعه فى الأسر على نداء ، وقرر الانضمام الى حركة « ألمانيا الحرة » •

كتب كثير من الجنرالات فى جريدة « ألمانيا الحرة » لدرجة أن الأسرى فى المعسكرات كانوا يسمون اللجنة الوطنية « المخبر العام » • وازداد كل يوم أيضا عدد المنضمين الى حركة « ألمانيا الحرة » • ونقاطرت النداءات كلها تقريبا بتوقيع الجنرالات ، وفى ٢٧ أغسطس أذاعت حركة « ألمانيا الحرة » نداء أيضا • ولكن على الرغم من الجهود التى بذلتها اللجنة الوطنية للتأثير على التطورات فى ألمانيا ، فقد استمرت الحرب الخاسرة •

وجنت ألمانيا عواقب ذلك ، فقد نشرت جريدة « ألمانيا الحرة » فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٤ م قرار الحلفاء حول احتلال ألمانيا المقبل وكان التعليق باختصار كما يلى :

« ليس من المقبول لشعبنا أن تحل هذه المسألة بواسطة قوات الاحتلال ، ولكن لا زال هناك وقت لتعويض جزء على الأقل ، مما فات شعبنا منذ وقت طويل ، اذ من الممكن أن تؤدى الأسلحة التى فى يد

ألمانيا خدمة طيبة ، اذا وجهت كلها ضد نظام « هتلر » المشين • فالحريات التى ستكفل للشعب أيضا تحت الاحتلال ، ستكون أكبر بقدر اسراع الشعب الى الالتحام مع الحلفاء فى القضاء على نظام « هتلر » •• الوقت يأزف ! » •

وأخيرا نشر فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤ م نداء الـ ٥٠ جنرالا المشهور الى الشعب والجيش • وكان حوالى ٨٠ جنرالا فى ذلك الوقت فى معسكرات الأسرى فى الاتحاد السوفييتى ، ومن بينهم ٥٠ أعضاء فى « رابطة الضباط الألمانيين » (التى كانت تضم فى ذلك الوقت ٤٠٠ عضوا مكتوبة أسماؤهم على الورق) وبالتالى انضموا الى حركة « ألمانيا الحرة » ، ووقعوا كلهم على الانذار الأخير بانهاء الحرب الخاسرة :

« أيها الألمانيون •• دفعنا القلق العميق على مستقبل شعبنا الى أن نتوجه نحن الجنرالات الألمانيين بالاشتراك مع مئات الآلاف من الجنود والضباط هنا فى معسكرات أسرى الحرب فى الاتحاد السوفييتى ، نتوجه فى اللحظة الأخيرة اليكم يا رجال ألمانيا ونساءها • ان ساعة الانهيار تحت ضغط القوة المتفوقة للأعداء المتحالفين تقترب ، لقد خسرنا الحرب ، ورغم هذا يريد « هتلر » الاستمرار فيها •

« ولكن لا يجوز القضاء على شعبنا ! ولهذا يجب وقف هذه الحرب بسرعة ! ••

« أيها الشعب الألمانى •• قف لتقوم بالعمل المنقذ ضد « هتلر » ! أيها الألمانيون •• أعيدوا بعملكم الشجاع شرف الاسم الألمانى أمام العالم ، واخطوا بذلك الخطوة الأولى نحو مستقبل أحسن » •

طبعت ملايين النسخ من هذا النداء — نداء الخمسين جنرالا — وألقيت على القوات الألمانية التى تحارب فى الجبهة • وكررنا اذاعته فى مدى أسابيع عديدة ، وأضيفت هنا وهناك بعض التفسيرات القصيرة عن الموقعين عن أسباب دعوتهم الى الاطاحة بـ« هتلر » وبانهاء الحرب ، والانضمام الى حركة « ألمانيا الحرة » •

لم يكن فى الامكان التصعيد أكثر من هذا ، فخمسون جنرالا ينادون بالاطاحة بـ« هتلر » ؛ وبانهاء الحرب — كان هذا هو أعلى نقطة ، وفى الوقت نفسه نهاية حركة « ألمانيا الحرة » •

استمرت حرب « هتلر » ففى يناير سنة ١٩٤٥ م حوصرت « شرق

بروسيا » وانفصلت « أوبرشليزبن » واستولى الجيش الأحمر على « جلايفيتس » و « هندين بورج » و « ألينشتاين » و « مارين بورج » •

وكان القتال دائرا حول « بريسلاو » و « بوزين » و « كونيجسبرج » ووقف الجيش الأحمر على بعد ٢٠٠ كيلومتر من برلين •

بدأ مؤتمر « يالتـــا » فى ٨ فبراير سـنة ١٩٤٥ م • وكانت شرق بروسيا قد اقتطعت ، ووقف الجيش الأحمر شرق برلين عند « كوسترين » و « فرانكفورت » • واجتاحت القوات السوفييتية ضفتى نهر « أودر » عند « بريسلاو » على جبهة عرضها ٣٠٠ كيلو متر • وفى الغرب كانت قوات الحلفاء عند نهر « الراين » ، وأصبحت هزيمة ألمـانيا الهتلرية النهائية ماثلة أمام الأبصار •

عندما أعلنت قرارات مؤتمر « يالتـــا » فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ م ، لم يكن أمام اللجنة الوطنية سوى أن تعلن : لا زال عندنا أمل فى أن توقظ هزيمة ألمـانيا الهتلرية — الساحقة الماثلة أمام العيون — فى الشعب الألمـانى الطاقات التى تهيىء له — بواسطة التطهير الذى لا شفقة فيه لوطنه الخاص ، وبواسطة جبر الآلام — كيانا جديرا به ، ومكانة فى المجتمع الدولى •

وكان واضحا أن اللجنة الوطنية لم تصل الى أهدافها ، فلم يظهر أى بيان سياسى هام بعد نداء الخمسين جنرالا • واستطعت أن أحس بوضوح ان استمرار العمل فى الجريدة والاذاعة ليس الا روتينا ، بينما تتخذ القرارات السياسية الهامة فى جهات أخرى •

* * *

مهمتنـــا فى ألمـــانيا

« سوف تبدأ فى الأيام التالية دورة دراسية عن مهمتنا السياسية المقبلة فى ألمـــانيا » •

ومن الطبيعى أننا كنا قد تحدثنا من قبل عن كيفية الوضع لو تمكنا من العودة الى ألمـــانيا ، غير أن العودة حتى الآن ، كانت أحـــلاما وأمنيات • ولكن أثار الأمل فى دورة دراسية عن مهمتنا السياسية المقبلة عواطفى نحو الرجوع الى الوطن •

كانت اثارة العواطف نحو الرجـــوع الى ألمـــانيا مقصورة على

اللاجئين المتقدمين فى السن • أما الشباب فكان منهم من يهز رأسه عندما يدور الحديث عن ألمانيا ويقول : « آه •• ألمانيا ! أنا أفضل البقاء هنا » • كان التأثير السوفييتى قد بلغ حدا عند بعضهم ، لدرجة أنهم كانوا يتحدثون — حتى عندما لا يكون بينهم غير ألمانى — باللغة الروسية ، ويعتبرون الاتحاد السوفييتى — منذ وقت طويل — وطنهم الأصلى •

لم أكن من هؤلاء ، فقد كنت أتحرق شوقا الى أن أتمكن فى أقرب وقت من العودة الى ألمانيا ، والى العمل السياسى هناك • وهكذا انتظرت بفارغ الصبر بدء هذه الدورة الدراسية ، التى ستكون مقدمة للعمل فى ألمانيا ، وستهتم بالتوجيهات الضرورية لذلك •

وبعد بضعة أيام ، اجتمع حوالى ١٥٠ لاجئا سياسيا ألمانيا فى لجنة الحزب فى موسكو ، وقابلت هناك أيضا خريجين من مدرسة جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية :

« ميشا فولف » و « جان فوجيلر » و « ايمى شتينسر » ، و « هلموت جينيس » و « ماريانا فايزرت » و « هاينس هوفمان » • وقابلت أيضا مجموعة من اللاجئين الذين لم أكن أعرفهم من قبل ، اشترك فى المحاضرات أيضا بعض العاملين فى جريدة ، واذاعة « ألمانيا الحرة » •

ألقى « فيلهيلم بيك » خطاب الافتتاح :

« سوف نستمع الى محاضرة كل أسبوع تعقبها مناقشة ، نبحث فيها كل المشاكل السياسية المهمة بالنسبة للعمل السياسى المقبل فى ألمانيا » •

سمعنا فى المرتين الأوليين محاضرتين :

الأولى ألقاها « فيلهيلم بيك » عن « الواجبات العامة » • والثانية ألقاها « فالتر أولبريخت » عن « هدف القوى الديمقراطية المناهضة للفاشية » •

ثم تحدث فى المرات التالية :

« هيرمان مارتن » عن « دروس من نضال الحزب الشيوعى الألمانى فى الجمهورية الفايمرية » •

« أنتون آكارمان » عن « النضال ضد الفاشية الهتلرية فى الفترة من عام ١٩٣٣ م الى عام ١٩٤٥ م وما نتج عن ذلك من آثار » •

وألقى « ايدفن هورنل » محاضرة عن « مشاكل الزراعة » • وتحدث

« رودولف ليندلو » (الذى كان يدعى فى الاتحاد السوفييتى « باول جريتس ») عن « دروس من ثورة نوفمبر سنة ١٩١٨ م » •

ثم عالجت المحاضرات الأخرى « واجبات النقابات العمالية فى المستقبل » •

كانت الأسس التى دارت حولها هذه المحاضرات ما يلى :

لم يكن الانتصار على الفاشية عن طريق تمرد داخلى من الشعب الألمانى ، بل أحرز بواسطة الحلفاء المناهضين لـ« هتلر » ، فبينما تكونت فى البلاد التى وقعت تحت الاحتلال النازى حركات مناهضة ، قامت بأعمال ضد طغيان « هتلر » ، لم يتحرك الشعب الألمانى للقيام بعمل من هذا القبيل ، وبناء عليه فالشعب الألمانى — بدون تحامل عليه — مشترك فى جريمة ألمانيا الهتلرية ، وترتب على هذا — كنتيجة منطقية — احتلال القوى المتحالفة ضد « هتلر » لألمانيا •

يجب على القوى الديمقراطية المناهضة للفاشية مساندة قوى الاحتلال فى نضالها للقضاء على الفاشية والعسكرية ، لقلب نظام التعليم والتثقيف عند الشعب ، وارساء قواعد الديمقراطية •

وترجع أسباب الانتصار الى وحدة الحلفاء ضد « هتلر » وقد حمل لواءها أمريكا ، وبريطانيا العظمى ، والاتحاد السوفييتى •

حاول النازيون محاولات يائسة لتفسخ وحدة القوى العظمى الثلاثة ، عن طريق بث الشك والريبة فيما بينهم ، وقد ضربت هذه المحاولات فى مهدها بأسلوب لا هوادة فيه •

سوف يتلو النصر احتلال لفترة طويلة ، ربما يستمر أعواما ، حتى يسمح مرة أخرى بالأحزاب السياسية الألمانية • ومن هنا يجب على القوى الديمقراطية المناهضة للفاشية أن تشترك اشتراكا ايجابيا فى الادارة المحلية الألمانية ، وتباشر نشاطها فيها تحت اشراف الحلفاء •

وليس من الواجبات السياسية تحقيق الاشتراكية فى ألمانيا ، أو تمهيد الطريق للتطور الاشتراكى : بل الحكم على مثل هذا العمل بأنه انعطاف ضار ، يجب مكافحته ، اذ تقف ألمانيا الآن أمام تحول ديمقراطى شعبى ، سيكون جوهره ومضمونه تكميلا لثورة نوفمبر عام ١٨٤٨ م • ومن المهم فى هذا الوقت مساندة هذا التكميل مساندة ايجابية ، ولكن فى نفس الوقت معارضة كل حل اشتراكى ، لأنه فى مثل هذه الظروف سيكون « ديماجوجية » بحتة ، ووضعا لفكرة الاشتراكية فى اطار سيء •

وكان من الأمور الملفتة للنظر ، أن المحاضرين تناولوا فى هذه الدورة الدراسية بالتفصيل كيفية الرد على النقد ، الذى سوف يوجه فى المستقبل « من اليسار » ، وبينوا لنا أن ذلك موجود بنوع خاص فى الطبقة العاملة فى كثير من الدول ، ففى بلغاريا ساروا بعيدا فى مجال « انحراف اليسار » ، ولكن أمكن التغلب عليه بتدخل « ديمتروف » المباشر .

ومن المحتمل أن نصطدم أيضا فى ألمانيا بمفاهيم واتجاهات ترى أنه « ينبغى علينا الآن تنفيذ الاشتراكية » . وربما نقابل أيضا بالاتهام ، بأننا تحالفنا فى اللجنة الوطنية مع الجنرالات النازيين سابقا ، وكونا جبهة معهم . والاجابة على هذا : « لا يتعلق الأمر به « مع من تسير » ؟ بل « الى أى هدف تسير » ؟ .

فاذا اتهمنا بأن اشتراكنا فى العمل معهم ليس الا نفس سياسة زعماء الديمقراطية الاشتراكية اليمينيين بعد عام ١٩١٨ ، فيكون الرد : « ناضل زعماء الديمقراطية الاشتراكية بالتعاون مع الجنرال « فون ايب » ضد العمال ، أما نحن فقد ناضلنا بالاشتراك مع الجنرال « فون زيدليتس » ضد « هتلر » وهذا هو الفرق » .

كذلك برروا حجج الشعوب التى اضطهدها « هتلر » : « يجب أن يكون لدى المرء الشجاعة للتأمل فى الحقائق ، اذ بعد ما حدث كل هذا ، يجب اعطاء الشعوب التى اضطهدت ، وأهينت ضمانات بعدم تكرار مثل هذه الفظاعة ، ومن هنا يجب على الديمقراطيين والمناهضين للفاشية ، الألمانيين ، أن يؤيدوا مطالب الشعوب التى اضطهدت فى رسم الحدود ، بما فيها خط « أودر — نايسى » ، وكذلك يوافقوا على التعويضات التى تطالب بها تلك الشعوب ، ويعتبرون هذا التزاما أدبيا من الشعب الألمانى » .

جاءت قوات الاحتلال الى ألمانيا ، لتقلع جذور الفاشية والعسكرية ، ولتتخذ الاجراءات الضرورية لاعادة الديمقراطية الى الشعب الألمانى ، لم تنشر اجراءات قوات الاحتلال بالتفصيل ، ولكن يمكن للمرء أن يتوقع أنه بجانب محاكمة مجرمى الحرب ، ستتخذ اجراءات ضد احتكار الرأسمالية ، وسيوضع مشروع للاصلاح الزراعى والتعليم . ويجب أن تراعى بدقة تعليقات الحلفاء عند المساهمة الايجابية فى هذه الاصلاحات ، وتهتموا اهتماما كبيرا فى تنفيذها ، وسيكون الاصلاح الزراعى أحد

المشروعات المهمة التى التزمنا بتنفيذها فى ألمانيا ، ولن يبدأ تنفيذها — على أقرب تقدير — الا فى أوائل عام ١٩٤٦ م ، فلن تتخذ أى اجراءات تنفيذية فى الزراعة فى هذا الصيف ، لأن ذلك يمكن أن يضر بتموين الشعب • ويجب أن تبذل الجهود فى صيف عام ١٩٤٥ م لضمان محصول جيد ، حتى نتفادى حدوث مجاعة عامة •

فاذا حان موعد السماح للتنظيمات الألمانية ، تكون قد تمت التجهيزات لاقامة نظام جماهيرى ديمقراطى مناهض للفاشية تحت اسم « كتلة الديمقراطية المناضلة » •

كان هذا هو الخط السياسى الذى تعلمناه فى أوائل عام ١٩٤٥ م فى آخر دورة دراسية نحضرها قبل سفرنا الى ألمانيا •

وظهر لى واضحا بنوع خاص أن اعادة تأسيس الحزب الشيوعى الألمانى لا يتوقع فى القريب ، بل يظهر أنه ستستمر مدة طويلة الى أن يفكروا فى تحقيق ذلك ، فقد كان الحديث آنذاك عن « كتلة الديمقراطية المناضلة » فقط ، وهى تنظيم جماهيرى ديمقراطى على قاعدة واسعة ، مناهض للفاشية • ولكن لم تصل الينا هذه الفكرة دون اعداد سابق لها •

ففى ذلك الوقت كنت تقرأ وتسمع فى موسكو قليلا جدا — يكاد يكون من النادر — عن الأحزاب الشيوعية فى دول شرق أوروبا ، ولكن بدلا من هذا ، كنت تسمع كثيرا عن الكتل المناهضة للفاشية » : « الجبهة الوطنية » فى بلغاريا ، و « الكتلة الوطنية الديمقراطية » فى رومانيا ، و « الجبهة الوطنية » فى تشيكوسلوفاكيا ، و « الكتلة الديمقراطية » فى بولندا • وبدا لى أن اقامة « كتلة ديمقراطية مناضلة » فى ألمانيا بعد الحرب — فى المستقبل — هو نتيجة منطقية للأحداث فى البلاد الأخرى التى حررت من احتلال « هتلر » •

كانوا يذكروننا دائما — مرارا وتكرارا — بالفرق بين ألمانيا وبين تلك البلاد ، فبينما ظهرت فى البلاد الأخرى حركات مناهضة قوية ، لم يتحرك الشعب الألمانى للقيام بعمل من هذا القبيل • ومن هنا يكون من المنطقى أن التطور السياسى فى ألمانيا — كما تأكدنا آنذاك — « سيتأخر » ، ولا يمكن فى المستقبل المنظور ظهور حزب شيوعى ، وحتى قيام « كتلة ديمقراطية مناضلة » لا ينتظر فى القريب العاجل •

ظهر لى الفرق بين ألمانيا وبين الدول الأخرى صريحا عندما شاهدت فى سينما (Newsti dnja) « أحداث الساعة » فيلما عن

تحرير صوفيا وبوخارست وبراغ ، ثم تبعه عرض فيلم عن غزو المدن الألمانية • أثر الفرق على المشاهدين تأثيرا قويا ، وكان هذا بلا شك مقصودا ، ففى صوفيا وبوخارست وبراغ رأينا احتفالات وأعلاما وزهورا ، وجماهير الشعب الفرحة ، تحيى أفراد الجيش الأحمر ، وترقص فى الشوارع من شدة الفرح ، ولقطات الاخوة بين جنود الجيش الأحمر وأفراد قوات حرب العصابات ، وبينهم وبين الجماهير ، ومظاهر التهانى والفرحة والاعجاب • ثم جاءت أخبار الأسبوع عن ألمانيا ، فعرضت كما لو كان القتال فى ألمانيا يدور من شارع الى شارع بل من منزل الى منزل ، ويقف الشعب كله وراء (SS) (١) • ولم يوجد فرد واحدضد « هتلر » •

وهكذا بدت مهمتنا التى تلقيناها فى أوائل عام ١٩٤٥ م فى موسكو ، مرتبطة منطقيا ومتناسبة مع السياسة السائدة حتى الآن • اندهشت أكثر بعد بضعة أسابيع ، عندما اتخذت اجراءات فى برلين ، تتعارض مباشرة مع مهمتنا التى كلفنا بها •

دارت الأحاديث أكثر فأكثر حول العودة ، والعمل المقبل فى ألمانيا • وازدادت السرعة فى مجال التجهيزات للعودة • وكونت اللجنة الوطنية لجنة توجيه مناهج التعليم ضد الفاشية ، وعلى الأخص فى مجال التثقيف الشعبى ، وانتهت من وضع مذكرات فى ذلك ، وكانت هناك مسودات كاملة لكتب التاريخ التى ستطبع فى ألمانيا بعد الانتصار على « هتلر » •

استمر الزحف دون توقف ، وأعلنت البلاغات الحربية ، يوميا عن غزو المدن الألمانية ، حيث ذكرت فى حالات كثيرة بأسمائها السلافية القديمة ، ثم أضيف اليها الاسم الألمانى • لقد كانت أياما ! لم يستطع المرء فيها ملاحقة أخبار الانتصارات التى كان يعقبها طلقات المدافع ، واطلاق الصواريخ المضيئة فى الجو فوق موسكو •

أحس المرء فى كل مكان بالأمل فى قرب نهاية الحرب ، ولكن كان أمل اللاجئين السياسيين الألمانيين فى تلك الأيام هو قرب عودتهم الى ألمانيا • كان مغزى ومفهوم العودة الى الوطن بالنسبة للمتقدمين

---

(١) وهو اختصار لكلمة « حماية الدولة » التى كانت تطلق على قوات « هتلر » ، ويطلق على هذا الشعار فى البلاد العربية بـ« الصليب المعقوف » • م • شامة •

فى السن . الذين تركوا ألمـانيا منذ ١٣ سنة ؛ يذكرهم — على الرغم من الكتب التى قرأوها فى هذه المدة ؛ ومن كل المحاضرات التى سمعوها — بصورة ألمـانيا قبل عام ١٩٣٣ م • ولكن كانت صورة ألمـانيا عندنا نحن الشباب الذين تركوها وهم أطفال باهتة جدا ؛ كانت رحلة الى بلد ننتسب اليه ، ولكنه جديد بالنسبة لنا ، يطوى بين جنباته ما لا نعرفه ولا نتخيله •

* * *

حفلة التوديع عند « فيلهيلم بيك »

قال لى « أنتون آكارمان » فى منتصف ابريل عام ١٩٤٥ بعد جلسة لهيئة التحرير :

« أهنئك يا « فولف جانج » . فسوف تسافر مع أول مجموعة تعود الى ألمـانيا » •

لم يهتم كثير من المحررين منذ أوائل هذا الشهر بعملهم العادى اهتماما كليا ، بل كانوا يؤدونه روتينيا فقط ؛ وتحولت كل الأحاديث الى العودة الى ألمـانيا • أضيفت الينا أعمال اضافية فى هيئة تحرير الاذاعة ؛ لأنه كان يتغيب كل يوم تقريبا واحـد أو اثنان ، ويعلل « آكارمان » ذلك بقوله : « استدعى الرفيق •• لمقابلة •• » •

كان الأمر يتعلق بالترتيبات انهائية لرحلة العودة الى ألمـانيا ! فقد كانوا يتناقشون فى النواحى الفنية الجزئية لهذه الرحلة • ومن المحتمل أنه كان يوجد أشخاص يعرفون تفصيلات الموقف ، ولكن طلب منهم عدم اذاعة أى شىء على الاطلاق • أحيطت أيضا رحلة العودة الى ألمـانيا ؛ بتلك الاحتياطات السرية ؛ التى امتلأ منها كيلى وطفح •

لم نعرف شيئا مجردا حتى النصف الثانى من ابريل : سيستقل ٢٠ من اللاجئين السياسيين طائرتين ، ويتجهون الى المنطقة الواقعة تحت الاحتلال السوفييتى ، ستعمل مجموعة منهم تحت قيادة « أولبريخت » فى المنطقـة التى تسيطر عليـها قوات سوفييتية يقودها المـارشال « شوكوف » وهذه القوات تزحف الآن على برلين •

والمجموعة الثانية بقيادة « أنتون آكارمان » وستعمل مع القوات التى يقودها المـارشال « كونجيف » ، وتتقدم هـذه القـوات من تشيكوسلوفاكيا ، متجهة نحو « دريذدن » •

لم يعرف أفراد المجموعتين حتى الآن • وبعد بضعة أيام ، أخبرنى « أنتون آكارمان » أنى أخترت عضوا فى مجموعـــة « أولبريخت » : « ستكونون عشرة رفقاء وستطيرون فى آخر ابريل متجهين نحو برلين • ومن المحتمل أن نسافر بعدكم بيوم من هنا الى المنطقة التى يسيطر عليها « كونجيف » • ستبلغ غدا ، الى أين تتجه لتقوم بانهـــاء كل الاجراءات الرسمية » ! وطبيعى أنى سررت جدا أن أكون عضوا مع أول مجموعة تطير الى ألمـــانيا . ولكنى كنت فى نفس الوقت حزينا ، لأنى لم أكن فى مجموعـــة « آكارمان » ، الذى قدرنى كثيرا ، فمعرفتى بـ« أولبريخت » سطحية ، ولا ترتاح نفسى له •

والآن ! بدأ الوقت العصيب ، الذى لا نعرف فيه الهدوء • وكالمعتاد ، كنت مشغولا بالاذاعة كل يومين فى فترة بعد الظهر حتى اليوم التالى ، وكان الوقت الباقى مليئا بانهاء اجراءات الأوراق وبالمقابلات • وبعد يومين دعينا نحن « مجموعة أولبريخت » ـــ كما يسمونها آنذاك ـــ للاجتماع به •

لم يظهر السرور على « أولبريخت » اطلاقا ـــ على الأقل لم يظهر شيئا ـــ ، فتحدث معنا كما لو كان الأمر يتعلق بشىء مسلم به فى العالم ، أن نعود الى ألمـــانيا بعد هذه السنين الطويلة :

« يجب على كل واحد أن ينتهى من شيئين فى اليوم التالى :

١ ـــ يجب تسليم أوراقكم الرسمية السوفييتية الى رؤوسائكم العسكريين •

٢ ـــ تجهيز الملابس الضرورية التى ستحتاجون اليها فى ألمـــانيا •

كنت جاهلا آنذاك ، بأنه يجب علينا أن نشترى لأنفسنا حللا جديدة من المحلات السوفييتية • سألت أحد الرفقاء :

كيف تحل مشكلة الملابس ؟ من أين الحصول عليها ؟

لم يستطع هذا الرفيق اخفاء ابتسامته وقال :

ـــ « لا تهتم ! فسوف يأتى كل شىء فى المعهد رقم ٢٠٥ ، ويمكن أن نذهب سويا الى قسم التدبير المنزلى » •

ـــ « أين أقابلك فى المعهد » ؟

ـــ « اسمى « جوستاف جونديلاخ » تجدنى فى قسم هيئة تحرير اذاعة الشعب الألمـــانية » •

اتجهت فى اليوم التالى الى المعهد رقم ٢٠٥ • وبعد نصف ساعة كنت أقف مندهشا مع « جونديلاخ » فى قسم التدبير المنزلى • يشبه هذا القسم المحلات التجارية الكبرى ، اذ يوجد فيه ، أقمشة ، حلل جاهزة ، ملابس ، معاطف ، ملابس داخلية ، جوارب ، وكل ما لم يكن موجودا فى المحلات أثناء الحرب ، كان فى هذا القسم ، ومن أنواع ممتازة • كسيت نفسى من قمة رأسى الى أخمص قدمى ووقعت على أوراق كثيرة ، لا حصر لها ، كل قطعة بتوقيع ، قائمة طويلة من عدة نسخ •

انتهى بذلك الجزء الأول من الاستعداد للسفر • والآن ! — هكذا فكرت — الى الثانى ، الجزء الثانى وهو تسليم الأوراق الرسمية • اتجهت فى اليوم التالى — وقلبى يدق — الى حجرة القائد العسكرى الروسى « فوروبجوف » وانتظرت أن تبدأ لعبة الأسئلة والأجوبة المشهورة مرة أخرى ، ولكن كان الوضع مختلفا جدا ، فلم توجد محاضرة سياسية ، ولا لعبة الأسئلة والأجوبة ، ولم يكن هناك طابع الرسميات مطلقا •

« الآن أيها الرفيق « ليونهارد » ! هل أحضرت معك كل الأوراق السوفييتية » ؟

« طبعا ! كلها معى » •

وفى تلك الأثناء أخرجت كل الأوراق من جيبى الخلفى ووضعتها على المكتب ! دفتر عضوية منظمة الشباب ، البطاقة الشخصية السوفييتية ، بطاقتى الطلابية السابقة ، دفتر امتحاناتى فى المعهد العالى ، كتب العضوية فى (MOPR) وفى (Osoaviachim) •

فقال الرئيس العسكرى برزانة .

« هل هذا هو كل ما عندك » ؟

ثم أعاد لى كتب عضوية الأنظمة التى تعتبر — فى غير هذا المكان — مهمة ، بحركة كما لو كانت لا تساوى قيمة الأوراق المطبوع عليها تلك البيانات ثم فتح درج مكتبه ووضع فيه الأوراق الطلابية ، ودفتر عضوية منظمة الشباب •

« الآن ! انتهى كل شىء ، وأتمنى لك توفيقا كبيرا فى نشاطك المقبل » •

وفى ٢٧ ابريل دعينا الى اجتماع قصير مع « أولبريخت » :

« الكل مستعد ؟ هل انتهى كل شىء » ؟

ولأول مرة أراه مسرورا ، والابتسامة تعلو وجهه !

« المعروف حتى الآن — أننا سنطير فى يوم ٢٩ أو يوم ٣٠ ابريل ، وقبل هذا ستقام حفلة توديع عند « فيلهيلم » ، والآن مسألة عملية » .

فتح حقيبة وأخرج منها رزمة من ورق البنكنوت وزعناها على أنفسنا . .

« هذه ١٠٠٠ روبل لكل واحد لشراء الأشياء الصغيرة » .

(مبلغ يفوق بكثير مرتب عامل فى شهر) . لم تنته عملية تقسيم النقود بعد عندما قال :

« والآن .. يأخذ كل واحد منكم ٢٠٠٠ ماركا ألمانيا ، للمصاريف الأولى فى ألمانيا » . ثم ناولنا رزما من ورق البنكنوت ، أوراق جديدة جدا ، كانت هذه المرة ماركات الاحتلال المشترك ، التى طبعت فى أمريكا . كنا قد سمعنا عن نقود الاحتلال ، ولكنا نراها الآن لأول مرة .

كانت هناك نقطة ، لا زالت غامضة : أتكون هذه الرحلة لفترة زيارة قصيرة — أى لمهمة رسمية قصيرة — أم ستكون للاقامة الدائمة هناك ؟ أردت توجيه سؤال حول هذه النقطة ، ولكنى تذكرت أن ذلك سيعتبر تصرفا — وبالذات فى هذا الوقت — « لا يتفق مع مبادىء الحزب » ، فأحجمت عن السؤال ، ولكنى اعتقدت أنها مهمة رسمية قصيرة ، وأننا سنعود الى موسكو بعد بضعة أسابيع .

استدعينا فى يوم ٢٩ ابريل لمقابلة « أولبريخت » لآخر مرة ، وكانت هذه المقابلة قصيرة جدا ، حيث قال :

« كل شىء على ما يرام ، فسوف نطير غدا فى الساعة السابعة صباحا . سنتقابل فى الساعة السادسة بجانب المدخل الجانبى لفندق « لوكس » ونسافر بالأوتوبيس الى المطار ، وكل واحد يأخذ لحقيبة صغيرة معه بالحاجات الضرورية جدا فقط . ونحن مدعوون فى مساء اليوم عند « فيلهيلم بيك » .

جلسنا — عشرة من اللاجئين السياسيين — فى مساء يوم ٢٩ ابريل ١٩٤٥ م — آخر ليلة نقضيها فى الاتحاد السوفييتى — عند « فيلهيلم بيك » .

كان سكنه مؤثثا مثل سكن كل الذين يقيمون فى فندق « لوكس » وكان الفرق الوحيد هو أنه لا يسكن فى حجرة واحدة ، بل فى عدة حجرات . كان هذا المسكن بالنسبة لظروف سكن المواطن السوفييتى العادى ،

ولسكن اللاجئين الألمـانيين — ممتازا ومريحا ؛ ويقرب من أن يوصف بالسكن المترف • فاذا رآه غربى ، يمكن أن يسوى بينه وبين سكن عامل فنى فى ألمـانيا الغربية ؛ ولكنه سكن فقير ومتواضع جدا ، اذا قورن « بالفيلات » الذى انتقل اليها « فيلهيلم بيك » فى برلين بعد عام ١٩٤٥ م •

كان فى حجرة المعيشة منضدة مستديرة ، وضعت عليها أكواب لشرب « الفودكا » اتخذنا مقاعدنا حول هذه المنضدة ، وكنت متخوفا أن يتحول الجو الى رسمى جدا فقد كنت — داخليا — متوقعا محاضرة سياسية ، أو « حفلة سمر متزمتة تسير فقراتها وفق تنظيم سابق » كما كان فى مدرسة جبهة الأحزاب الشيوعية العالمية •

ولكن كان الوضع مختلفا فى هذه المرة • كان اللقاء مريحا وسارا ، وغير متشح برداء التزمت • يبدو أننا نوجد الآن فى سلم ارتقـاء القياديين . على درجة حيث يمكن أن تكون المقابلات دون اعلان أو تصريح رسمى • غير أنه تخلل الحديث أيضا كلام عن العمل المقبل ، ولكنه لم يأخذ طابع المهمات الرسمية فى الحزب ، بل كان حرا ، لا تستعمل فيه التعبيرات الرسمية ؛ ثم رفعت كؤوس « الفودكا » على صـحة الاحتفال بهذه المناسبة •

قال « فيلهيلم بيك » مرحا مبتسما :

« فى صحة العمل المقبل فى ألمـانيا » !

فأجبناه : « فى صحة عودتك السريعة الى ألمـانيا » •

فضحك وقال :

« نعم •• نعم •• سوف آتى وراءكم بسرعة » •

استمرت جلستنا بعضا آخر من الوقت ، مزحنـا وضحكنا على القصص والأحداث المضحكة التى كان يقصها علينا أحد الرفقاء •

قال « ريتشارد جيبتنر » :

« هل سمعتم النكتة الجديدة عن قبض الانجليز على هتلر » ؟

فصاح الجميع : « لا •• احكيها لنا » •

فقال فجأة : « ولكنها قاسية بعض الشىء » •

ربما أدرك فى ذلك الوقت انها نقد خفيف للحلفاء الغربيين ، فهى وان كانت نكتة ، لا تضر ، ولكنها يمكن أن تعتبر خطأ سياسيا •

قال « فيلهيلم بيك » مشجعا له : لا بأس •• احكيها » •

« اذن ، أحكيها : استمرت القوات البريطانية فى تقدمها ، حتى وصلت الى مقر قيادة « هتلر » فحاصرته ، ثم اقتحمت المبنى ، وتقدم أفراد منها شيئا فشيئا حتى وصلوا الى حجرة « هتلر » فضربوا الباب ، فانفتح على مصراعيه ، فدخل الجنود — وأمامهم ضابط برتبة رائد — وهم شاهرون السلاح وتقدم الضابط نحو « هتلر » وقال له : أنت مقبوض عليك باسم الدول المتحالفة .. ثم سادت لحظة سكون تام ، أخرج فيها « هتلر » ورقة من جيبه ، مد بها يده الى الضابط قائلا : يسرنى أن أعلن لكم الآن انى العميل رقم ٢٠١٥ فى جهاز المخابرات البريطانية ، لقد نفذت مهمتى ، فألمانيا راكعة تحت الأقدام » .

ضحك الجميع . ولكن « أولبريخت » تبسم فقط ، ثم قال « فيلهيلم بيك » : قاسية « شوية » ، ولكنها لطيفة » .

انفض مجلسنا بعد ساعة تقريبا ، فسلم « فيلهيلم بيك » على كل واحد بحرارة قائلا :

« الى اللقاء قريبا فى ألمانيا » .

حذرنا « أولبريخت » مرة أخرى من التأخير ، فلابد أن نكون واقفين بجانب المدخل الجانبى لفندق « لوكس » فى تمام الساعة السادسة بالضبط .

توجهت الى حجرتى ، فذهبت الى الفراش ، ولكنى ظللت متيقظا مدة طويلة ، فهى آخر ليلة لى فى الاتحاد السوفييتى .

* * *